الإثنين 30 تشرين الأول 2023
العدد 5048 السنة الثامنة عشرة
Lundi 30 Octobre 2023 nº 5048 18ème année

20 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

ستيفن والت: بايدن يخشى «كارثة للجميع»
10

بدر الإبراهيم: كيف نكسب رضى الغرب؟
15

استطلاع رأي اللبنانيين حول «طوفان الاقصى»

54% يدعمون عمليات إشغال العدو جنوباً
75% يرفضون الحياد في الحرب على غزة
[4]

العدو في «الفخ»

- بنود «هدنة الاسبوع» وتفاصيل المبادرة الفرنسية
- غليان في الضفة... وتصعيد ضد الاحتلال الاميركي

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

هدنة الأيام السبعة لتبادل الأسرى وإدخال المساعدات

وقائع وساطة إنسانية لا تعارضها حماس

إبراهيم الأمين

بموازاة التصعيد الميداني، واستمرار فترة السماح الأميركي والغربي لإسرائيل للإبغال في دماء الفلسطينيين، ومحاولات جيش الاحتلال تحقيق نتائج ميدانية، بدا، في الأيام الخمسة الأخيرة، أن في واشنطن من بات يشعر بأن الأمور باتت تتطلّب تدخلاً أكبر في القرار الإسرائيلي، سواء لجهة وضع أهداف أكثر دقّة وواقعية للعملية البرية، أو لجهة بدء مفاوضات قد تنطلق من الباب الإنساني. وبحسب معطيات تجمّعت، يبدو أن هناك اختبارات دبلوماسية أولية، تتجاوز الهدنة الإنسانية إلى ما يلامس الحل الشامل.

وبحسب ما علمت «الأخبار» تنشط وساطات عدة، بدأت بين واشنطن والدوحة والقاهرة، واتّسعت لتشمل أنقرة وباريس، بالتنسيق مع وسطاء تنفيذيين، كالأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي.

وبدأ البحث بعدما أصيبت إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن بخيبة كبرى مع تعثّر مشروع فتح مصر لمعبر رفح الحدودي لتهجير أبناء غزة. كما لمست الولايات المتحدة عدم جدوى كلامها العالي بضرورة إطلاق الأسرى المدنيين لدى فصائل المقاومة، قبل أن تبادر حركة «حماس»، من جانبها، بإعلان استعدادها للدخول في صفقة تبادل. إلا أن سلوك العدو في ما يتعلق بإدخال مساعدات عبر رفح، عقّد الأمور كثيراً، ودفع القاهرة، ومعها أنقرة والدوحة، إلى إبلاغ الأميركيين بأنه يصعب إقناع «حماس» بالسير في العملية طالما استمر السلوك الإسرائيلي على ما هو عليه.

وبحسب المصريين - الذين تظهر حكومتهم الخسيسة في كل ما تقوم به ضعفاً غير مسبوق في تاريخ مصر - فإن إسرائيل تعرقل الاتفاق الأولي الذي قضى بإدخال عشرين شاحنة مساعدات يومياً، وتفرض إجراءات مذلّة تؤخّر وصول الشاحنات وتمنع بعضها من الدخول. ونبّه المصريون إلى أن بقاء الوضع على ما هو عليه سيعقّد أي محاولة سياسية لمعالجة ملف الرهائن.

وبناءً عليه، بدأ العمل على مبادرات عدة، بعضها محصور في الجانب الإنساني المؤقّت، وبعضها الآخر يفتح الباب أمام نقاش يقود إلى حل ينتج توقّفاً للعدوان.

في غضون ذلك، كان الأميركيون يراقبون حال حليفتهم. التعبئة الشاملة في إسرائيل لم تنعكس توحّداً متمرّساً على صعيد عمل حكومة الحرب، مع تخبّط في القرارات، وتوسيع بنيامين نتنياهو لدائرة الاستشارات العسكرية والميدانية، والأصوات المنتقدة له من داخل الحكومة نفسها، وصراعه مع قادة الأجهزة الأمنية... كل ذلك عزّز الشكوك في إمكانية تحقيق إنجاز نوعي أو سريع. ومع أن واشنطن لم تضغط على إسرائيل لوقف مجازرها، إلا أنها وجدت أن الوقت بات مناسباً لإطلاق مسارات أخرى.

وبدأت عملية تحويل مهمة إطلاق سراح المدنيين، ومن بينهم حاملو الجنسية الأميركية، إلى عملية سياسية ولو ذات طابع إنساني، خصوصاً أن التجبّر الأميركي لم يعد قادراً على تجاوز الأصوات الرافضة للحرب.

وقد كانت «حماس» هي الأسرع في التقاط اللحظة، فبادرت بإطلاق سراح محتجزتين إسرائيليتين، معطية الوسيط القطري جرعة تعزّز موقعه التفاوضي لدى الأميركيين، وفعلت الأمر نفسه بإطلاق محتجزتين أخريين عن طريق المصريين المهتمّين بدورهم في كل محاور القتال، ووقف الغارات الإسرائيلية مقابل وقف عمليات القصف من قبل المقاومة.

ثانياً، إعداد جداول إحصائية للأسرى والمفقودين من الجانبين، تشمل أدقّ التفاصيل، لناحية الاسم الكامل مع تاريخ الميلاد وتاريخ الاعتقال ومكان السجن والتفاصيل الأولية، يعمل الفرنسيون على الخاصة بجنسيته وما إذا كان يحمل جنسية أخرى، إضافة إلى صور شخصية حديثة لكل من هؤلاء.

ثالثاً، يتم الاتفاق على صفقة تبادل شاملة، تطلق المقاومة فيها كل الموجودين لديها، بمن فيهم مَن أسرتهم في حروب سابقة، مقابل إطلاق إسرائيل جميع المعتقلين من دون استثناء، المحكومين منهم أو الموقوفين إدارياً، والتعهّد بعدم اعتقالهم مجدداً.

رابعاً، تتم عملية التبادل في وقت واحد وفق آلية تشرف عليها الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي، وبضمانة الدول الوسيطة التي تتولى ضمان التزام الطرفين بالتقيد بتفاصيل العملية.

خامساً، يتم الاتفاق على إدخال المساعدات إلى قطاع غزة من دون أي شروط مسبقة، وإيصال كل أنواع المساعدات إلى مطار العريش في سيناء، على أن تتولى الأمم المتحدة مباشرة الإشراف على تسلّم هذه المساعدات من الجهات المانحة ومواكبة عملية نقلها إلى القطاع والإشراف على عملية توزيعها.

ويبدو أن للمقاومة هواجسها، وخشية كبيرة من لجوء العدو إلى التنصل من وجود بعض المعتقلين لديه، أو أن يعمد إلى تصفية بعضهم ويعزو الأمر لاحقاً إلى مشاكل صحية، وبالتالي فإن المقاومة تحتاج إلى ضمانات واضحة وكاملة بتقيد العدو بالاتفاق، ومنع أي محاولة من جانب إسرائيل للتذرّع بمسائل قانونية مثل الإبقاء على من «تلطّخت أيديهم بالدماء» أو عدم شمول الصفقة للأسرى الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية.

ومن جهة العدو، تتعلق الهواجس ببند المساعدات، وطلب ضمانات تنفيذية تسمح له الاستمرار

> **محاولة ربط الأعمار بتغيير السلطة الحاكمة في القطاع وحصر الادارة العامة بسلطة جديدة وتجنب الاشارة الى سلاح المقاومة**

بتفتيش كل الشاحنات الداخلة إلى غزة، وضمانات بأن لا يكون لحركة حماس ومؤسساتها المدنية أي دور في الإشراف على المساعدات أو توزيعها في القطاع.

اي سلطة تدير القطاع؟

لكنّ الكلام الغربي، لا يقف عند هذا القسم فقط، بل هو ينتقل إلى ما يعتبره مقدّمات الحل السياسي الشامل. ويتصرف الغربيون على أن القسم الأول هو في مصلحة حماس لناحية وقف العدوان وإطلاق الأسرى وإدخال المساعدات، وأن المهم بالنسبة إليهم هو معالجة قلق العدو المتعلق بمستقبل الوضع في القطاع. وفي هذا السياق، تنتقل الورقة الفرنسية لتتناول نقاطاً مثل: أولاً، إعادة تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية المعترف بها دولياً، وأن تكون مسؤولة عن إدارة شؤون القطاع بالكامل.

ثانياً، أن لا يبقى من الموظفين في المؤسسات الرسمية سوى المسجّلين على لوائح رواتب السلطة، وتسليم قوات الشرطة التابعة للسلطة، بعد إعادة تأهيلها، المسؤولية الكاملة عن إدارة الوضع الأمني في القطاع، وإلغاء المظاهر المسلّحة غير الخاضعة للسلطة الفلسطينية.

ثالثاً، تتولى السلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية إعادة إعمار القطاع، على أن تبدأ بإعادة بناء وإعمار ما يتعلق بتعزيز سلطتها.

رابعاً، التدرّج في برنامج إعادة الإعمار، من خلال وضع برنامج لإيواء النازحين الذين دُمرت بيوتهم، سواء عبر استخدام المنازل الجاهزة المؤقّتة أو أي خيار آخر، على أن يتم وضع برنامج عمل لعملية إعادة إعمار سريعة للمساكن مع البنى التحتية الخاصة بها.

الوصاية على غزة؟

وبحسب الأفكار نفسها، فإن النقاش ينتقل إلى البند الأهم، وهو الذي تطرحه إسرائيل من زاوية حاجتها إلى ضمانات عبر إجراءات تسمح لها بالحديث عن وضع مستقر. ومع أن العدو يطرح، كما حاول في لبنان عام 2006، مسألة نزع سلاح المقاومة في القطاع، إلا أن الأفكار الواردة في الورقة المنسوبة إلى الفرنسيين، تتضمّن عناوينَ كالآتي:

أولاً، نشر قوات أجنبية، عربية وإسلامية، على الحدود بين قطاع غزة والمناطق المحتلة عام 1948.

وتشترط إسرائيل أن لا تشارك في القوة أي دولة لا تقيم علاقات معها، على أن تتم مراعاة أن تكون لهذه الدول علاقات جيدة أو غير عدائية مع حركة حماس، مع إشارة مباشرة إلى الأردن ومصر وتركيا والإمارات وغيرها. لكنّ أحداً لا يجزم بالهوية الكاملة لهذه القوات أو عديدها وتسلّحها.

ثانياً، تنتشر هذه القوات على الحدود الغربية للقطاع مع أراضي الـ 48، وبعمق يصل إلى 3 كلم داخل القطاع. وهو أمر سيؤدي في بعض الحالات إلى تمركز القوات في مناطق مفتوحة، لكنه في مناطق أخرى يصبح انتشاراً ملاصقاً للمباني السكنية داخل القطاع.

ثالثاً، الشروع في ترتيبات تسمح بإطلاق عملية تفاوض برعاية دولية من أجل التوصل إلى حل سياسي دائم خلال فترة زمنية يجري تحديدها مسبقاً. وتركّز المبادرة على حل الدولتين، من دون الغوص في أي تفاصيل.

عملياً، أبرز المؤشرات في كل ما سبق إيراده، هو أن في الغرب من بدأ يفكر في أن الأمور لن تستقيم وفقاً لتصورات العدو. وإذا ما قارنّا المسار الزمني لمجريات ما يحصل في غزة، بما جرى في لبنان خلال حرب 2006، فإنه بات بالإمكان الدعوة إلى النظر بطريقة مختلفة إلى ما يجري.

ليس واضحاً إن كان العدو قد توصّل إلى قناعة بأنّه خسر هذه الجولة، وهو أمر لن يكون قابلاً للهضم في كل جسم إسرائيل. لكنّ السؤال بات موجّهاً إلى الولايات المتحدة والغرب: هل سيبادرون إلى إنقاذ إسرائيل من نفسها، أم يتركون الباب مفتوحاً أمام جنون يفتح المنطقة على احتمالات الحرب الواسعة ضد حليفتهم؟

(أ ف ب)

في المفاوضات. ومع دخول تركيا وروسيا ودول أخرى على الخط، تطوّر الأمر إلى طرح الوسطاء ورقة عمل لإنجاز بنود اتفاق. وقالت «حماس»، من جهتها، إنها جاهزة للتعامل إيجاباً مع عرضَيْن: الأول، يتعلق بتبادل جزئي للأسرى، والثاني، يتعلق بعملية شاملة.

في الحل الجزئي، طُرح إطلاق المقاومة نحو 50 من المحتجزين المدنيين لديها ممن يحملون جنسيات أميركية وأوروبية وروسية وتركية وآسيوية، مقابل إفراج العدو عن الأسرى الفلسطينيين النساء والأطفال ومن يعانون أوضاعاً صحية صعبة، بالتزامن مع زيادة المساعدات الإغاثية للقطاع بما في ذلك الوقود.

ومع بدء البحث في التفاصيل، تبيّن أن الأمر يحتاج إلى ترتيبات لوجستية معقّدة، ويتطلّب وقف العمليات العسكرية. وفهم الأميركيون أن عليهم إقناع العدو بـ«هدنة تستمر أسبوعاً على الأقل»، يتم خلالها:

- قيام المقاومة بحصر العدد النهائي للأسرى لدى جميع الفصائل، وتحديد من هم على قيد الحياة ومن أسروا أمواتاً أو قتلوا في الغارات الإسرائيلية على القطاع، وتمييز من ينطبق عليه صفة «مدني» عن العسكريين، إذ تعتبر المقاومة أن جنود الاحتياط ليسوا مدنيين. على أن تنجز فصائل المقاومة في ما بينها آلية لإجراء عملية التدقيق وتفاصيل ميدانية ذات طابع سرّي تتعلق بالتنفيذ.

- تنظّم مصر، إدخال المساعدات وفتح مطار العريش لاستقبال مواد الإغاثة من ضمن آلية تقوم بموجبها الأمم المتحدة بتسريع عملية نقل المساعدات خلال أيام الهدنة إلى كل مناطق القطاع، على ألا يكون هناك فيتو على أي مواد بما فيها الوقود.

- ينسّق العدو مع الصليب الأحمر الدولي لتثبيت لوائح بأسماء من يُفترض الإفراج عنهم ونقلهم إلى نقطة التنفيذ.

> **واشنطن ابلغت الجميع موافقتها والعدو افشل المحاولة سعياً لانجاز على الارض والضغوط تعيده الى الطاولة**

- توفّر الولايات المتحدة وقطر وتركيا والأمم المتحدة ضمانات للجانبين.

وبحسب المعلومات، كان يُفترض حسم كل هذه النقاط ليل الخميس الماضي، بعدما تبلّغ الوسطاء موافقة الولايات المتحدة. لكنّ تطوراً طرأ مع رفض قادة العدو صفقة مجتزأة وإصرارهم على إطلاق كل الأسرى لدى المقاومة، ورفض تصنيف الأسرى بين مدنيين وعسكريين. وتبيّن أن التعطيل الإسرائيلي سببه ضغط من أصحاب «الرؤوس الحامية» في الجيش ومجلس الحرب للسير مباشرة في العملية البرية، وإقناع الجمهور بأن تحرير الأسرى هو أول أهداف العملية البرية.

وبعدما حاول رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو إيهام عائلات الأسرى بأن «حماس» ترفض عقد الصفقة، أطلقت المقاومة موقفاً أولَ في شأن الأسرى على لسان الناطق باسم كتائب عز الدين القسام «أبو عبيدة». وبعد نشر تصريحات نتنياهو، تقرّر أن يُعلن موقف أكثر وضوحاً على لسان قائد حماس في القطاع يحيى السنوار الذي أعلن استعداد المقاومة لعقد صفقة شاملة فوراً.

ونُقل عن الوسطاء أن إرباكاً ظهر على الأميركيين، قبل أن يؤكدوا أنهم يؤيدون الصفقة، وأنهم يدرسون أساساً سلوك إسرائيل في الحرب، خصوصاً لجهة التزامها بتوصية وزارة الدفاع الأميركية بالتركيز على ضرب أهداف موضعية لمجموعات المقاومة، دون المغامرة في دخول كبير يؤدي إلى تداعيات خطيرة.

ورغم تعثّر المساعي، ومبادرة العدو إلى إعلان بدء عملياته البرية، تواصلت الاتصالات، ودخلت مرحلة جديدة، خصوصاً بعد إعلان رئيس حكومة العدو، للمرة الأولى، عن بدء البحث في ملف الأسرى داخل مجلس الحرب.

الإربـاك الإسرائيلي الواضح في وجهة إدارة المعركة ضد المقاومة في غزة، باستثناء مواصلة ارتكاب المجازر ضد المدنيين، دفع الحلفاء الغربيين للعدو الإسرائيلي إلى البدء في البحث عن مخارج تقيه شر الهزيمة الكاملة. وبحسب معلومات «الأخبار»، فقد تلقّى الوسطاء في المنطقة مؤشرات غربية إلى فتح ثغرة تقود إلى حلول تتجاوز الهدنة الإنسانية. غير أن مصادر فلسطينية أكّدت لـ«الأخبار» صعوبة الحديث عن مبادرات مكتملة، إذ إن جيش الاحتلال يسعى إلى تحقيق أي إنجاز ليقنع جمهوره بأنه انتصر. وأضافت أن ما يجري عملياً هو أن الولايات المتحدة تقدّر تخبّط العدو، وأن ما يُطرح تحت عنوان إنساني يمكن تحويله إلى حل دائم، مشيرة إلى أن الحديث عن مبادرات تتعلق بما بعد الحرب، لا يزال في إطاره الأولي، و«قوى المقاومة تدرس ما هو مناسب لحفظ الانتصار وإعادة الحياة إلى القطاع».

وعلمت «الأخبار» أن باريس بدأت اتصالات مع كل المعنيين بما يجري على الأرض، وفتحت خطاً مباشراً مع الدوحة وأنقرة لاستطلاع المواقف حول إمكانية البحث في حل مستدام. وحتى اللحظة، ليس معلوماً حجم التفويض الأميركي للفرنسيين، فيما لا تدّعي باريس بأنها تحمل تفويضاً إسرائيلياً، خصوصاً أن الوسطاء يسألون مسبقاً عن الضمانات، وهي في أساس ما تثيره «حماس» في كل نقاش يُفتح معها. وبحسب المعطيات الأولية، يعمل الفرنسيون على التوصل إلى «هدنة دائمة»، بعنوان إنساني، لكنها تستهدف البحث عن حل سياسي شامل. وتفيد المعلومات بأن مسوّدة المقترح الفرنسي تشمل: أولاً، إعلان وقف تام لإطلاق النار في كل محاور القتال، ووقف الغارات الإسرائيلية مقابل وقف عمليات القصف من قبل المقاومة.

ثانياً، إعداد جداول إحصائية للأسرى والمفقودين من الجانبين، تشمل أدقّ التفاصيل، لناحية الاسم الكامل مع تاريخ الميلاد وتاريخ الاعتقال ومكان السجن والتفاصيل الأولية، يعمل الفرنسيون على الخاصة بجنسيته وما إذا كان يحمل جنسية أخرى، إضافة إلى صور شخصية حديثة لكل من هؤلاء.

ثالثاً، يتم الاتفاق على صفقة تبادل شاملة، تطلق المقاومة فيها كل الموجودين لديها، بمن فيهم مَن أسرتهم في حروب سابقة، مقابل إطلاق إسرائيل جميع المعتقلين من دون استثناء، المحكومين منهم أو الموقوفين إدارياً، والتعهّد بعدم اعتقالهم مجدداً.

رابعاً، تتم عملية التبادل في وقت واحد وفق آلية تشرف عليها الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي، وبضمانة الدول الوسيطة التي تتولى ضمان التزام الطرفين بالتقيد بتفاصيل العملية.

خامساً، يتم الاتفاق على إدخال المساعدات إلى قطاع غزة من دون أي شروط مسبقة، وإيصال كل أنواع المساعدات إلى مطار العريش في سيناء، على أن تتولى الأمم المتحدة مباشرة الإشراف على تسلّم هذه المساعدات من الجهات المانحة ومواكبة عملية نقلها إلى القطاع والإشراف على عملية توزيعها.

ويبدو أن للمقاومة هواجسها، وخشية كبيرة من لجوء العدو إلى التنصل من وجود بعض المعتقلين لديه، أو أن يعمد إلى تصفية بعضهم ويعزو الأمر لاحقاً إلى مشاكل صحية، وبالتالي فإن المقاومة تحتاج إلى ضمانات واضحة وكاملة بتقيد العدو بالاتفاق، ومنع أي محاولة من جانب إسرائيل للتذرّع بمسائل قانونية مثل الإبقاء على من «تلطّخت أيديهم بالدماء» أو عدم شمول الصفقة للأسرى الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية.

ومن جهة العدو، تتعلق الهواجس ببند المساعدات، وطلب ضمانات تنفيذية تسمح له الاستمرار

> **محاولة ربط الاعمار بتغيير السلطة الحاكمة في القطاع وحصر الادارة العامة بسلطة جديدة وتجنب الاشارة الى سلاح المقاومة**

بتفتيش كل الشاحنات الداخلة إلى غزة، وضمانات بأن لا يكون لحركة حماس ومؤسساتها المدنية أي دور في الإشراف على المساعدات أو توزيعها في القطاع.

اي سلطة تدير القطاع؟

لكنّ الكلام الغربي، لا يقف عند هذا القسم فقط، بل هو ينتقل إلى ما يعتبره مقدّمات الحل السياسي الشامل. ويتصرف الغربيون على أن القسم الأول هو في مصلحة حماس لناحية وقف العدوان وإطلاق الأسرى وإدخال المساعدات، وأن المهم بالنسبة إليهم هو معالجة قلق العدو المتعلق بمستقبل الوضع في القطاع. وفي هذا السياق، تنتقل الورقة الفرنسية لتتناول نقاطاً مثل: أولاً، إعادة تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية المعترف بها دولياً، وأن تكون مسؤولة عن إدارة شؤون القطاع بالكامل.

ثانياً، أن لا يبقى من الموظفين في المؤسسات الرسمية سوى المسجّلين على لوائح رواتب السلطة، وتسليم قوات الشرطة التابعة للسلطة، بعد إعادة تأهيلها، المسؤولية الكاملة عن إدارة الوضع الأمني في القطاع، وإلغاء المظاهر المسلّحة غير الخاضعة للسلطة الفلسطينية.

ثالثاً، تتولى السلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية إعادة إعمار القطاع، على أن تبدأ بإعادة بناء وإعمار ما يتعلق بتعزيز سلطتها.

رابعاً، التدرّج في برنامج إعادة الإعمار، من خلال وضع برنامج لإيواء النازحين الذين دُمرت بيوتهم، سواء عبر استخدام المنازل الجاهزة المؤقّتة أو أي خيار آخر، على أن يتم وضع برنامج عمل لعملية إعادة إعمار سريعة للمساكن مع البنى التحتية الخاصة بها.

الوصاية على غزة؟

وبحسب الأفكار نفسها، فإن النقاش ينتقل إلى البند الأهم، وهو الذي تطرحه إسرائيل من زاوية حاجتها إلى ضمانات عبر إجراءات تسمح لها بالحديث عن وضع مستقر. ومع أن العدو يطرح، كما حاول في لبنان عام 2006، مسألة نزع سلاح المقاومة في القطاع، إلا أن الأفكار الواردة في الورقة المنسوبة إلى الفرنسيين، تتضمّن عناوينَ كالآتي:

أولاً، نشر قوات أجنبية، عربية وإسلامية، على الحدود بين قطاع غزة والمناطق المحتلة عام 1948.

وتشترط إسرائيل أن لا تشارك في القوة أي دولة لا تقيم علاقات معها، على أن تتم مراعاة أن تكون لهذه الدول علاقات جيدة أو غير عدائية مع حركة حماس، مع إشارة مباشرة إلى الأردن ومصر وتركيا والإمارات وغيرها. لكنّ أحداً لا يجزم بالهوية الكاملة لهذه القوات أو عديدها وتسلّحها.

ثانياً، تنتشر هذه القوات على الحدود الغربية للقطاع مع أراضي الـ 48، وبعمق يصل إلى 3 كلم داخل القطاع. وهو أمر سيؤدي في بعض الحالات إلى تمركز القوات في مناطق مفتوحة، لكنه في مناطق أخرى يصبح انتشاراً ملاصقاً للمباني السكنية داخل القطاع.

ثالثاً، الشروع في ترتيبات تسمح بإطلاق عملية تفاوض برعاية دولية من أجل التوصل إلى حل سياسي دائم خلال فترة زمنية يجري تحديدها مسبقاً. وتركّز المبادرة على حل الدولتين، من دون الغوص في أي تفاصيل.

عملياً، أبرز المؤشرات في كل ما سبق إيراده، هو أن في الغرب من بدأ يفكر في أن الأمور لن تستقيم وفقاً لتصورات العدو. وإذا ما قارنّا المسار الزمني لمجريات ما يحصل في غزة، بما جرى في لبنان خلال حرب 2006، فإنه بات بالإمكان الدعوة إلى النظر بطريقة مختلفة إلى ما يجري.

ليس واضحاً إن كان العدو قد توصّل إلى قناعة بأنّه خسر هذه الجولة، وهو أمر لن يكون قابلاً للهضم في كل جسم إسرائيل. لكنّ السؤال بات موجّهاً إلى الولايات المتحدة والغرب: هل سيبادرون إلى إنقاذ إسرائيل من نفسها، أم يتركون الباب مفتوحاً أمام جنون يفتح المنطقة على احتمالات الحرب الواسعة ضد حليفتهم؟

متظاهرة تلف وجهها بكوفية خلال تظاهرة داعمة لفلسطين في لندن (أ ف ب)

ما الرابط بين الأسرى والعملية البرية؟

منذ أكثر من أسبوع، تبدي حركة «حماس» مرونة كبيرة إزاء صفقة تبادل الأسرى مع قوات الاحتلال. المطالبات في أميركا ودول أوروبية بإطلاق حملة جنسياتها من المعتقلين لدى المقاومة، وضغوط أهالي أسرى العدو، اضطرت الجميع لوضع الملف على الطاولة، بالتزامن مع العملية البرية. وزادت الضغوط الداخلية على حكومة العدو بعد إعلان المقاومة مقتل نحو 50 من الأسرى في الغارات الجوية. كما جرى الحديث مرات عدة عن تأجيل العدو عمليته البرية ربطاً بملف الأسرى.

في ما يتعلق بالمقاومة، فهي مستعدّة لعقد صفقة كاملة فوراً أو صفقة جزئية. وهي تقول صراحة إن صفقة شاملة تتطلب وقفاً تاماً للعدوان، وهذه أولوية للمقاومة ليس خشية على بنيتها العسكرية، ولكن لإيقاف حمام الدم وإدخال كميات كبيرة من المساعدات.

أما التبادل الجزئي، فيبقى في يدها ورقة مهمة على طاولة التفاوض.

وإذا كان في مقدور المقاومة التمييز بين الأسرى المدنيين والعسكريين، فإن هذا «الترف» غير متوافر لقادة الاحتلال الذين يسعون إلى امتصاص غضب الشارع، ويدرسون الأمر من زاوية ما يخدم عمليتهم العسكرية، كل خطط العدو التي يجري الحديث عنها لمواجهة «تحدي الأنفاق» لا تزال افتراضية. فالحديث هنا عن شبكة أنفاق تشكل، مجتمعة، مدينة كاملة تحت الأرض، تؤوي قيادة المقاومة وعدداً كبيراً من المقاومين والعتاد. وهي «مدينة» ضخمة يصحّ أن يطلق عليها اسم «المترو»، إذ يستعين المقاومون بخرائط وأرقام وإشارات للتجوّل داخلها، وهي مقسّمة بطريقة لا تجعل الكل يعلم بكل تفاصيلها، بل إن مجموعات كثيرة لا تعرف إلا الطرقات التي تتعلق بها وحدها، ولا يمكنها العبور من تلقاء نفسها إلى مناطق تخص وحدات أخرى.

إنجاز عملية الأنفاق يحتاج إلى وقت طويل، وهو ما يعرفه العدو جيداً، وهو ما يفسّر تأخّره في الدخول إلى غزة، وتركيزه على القصف الجوي والمدفعي، وتدمير كل ما يمكن أن يكون مدخلاً لشبكة الأنفاق، وتسوية مناطق واسعة بالأرض، وتهجير سكانها، وهو ما يفعله منذ أسبوع. وهو ما يفسّر أيضاً تركيزه على مناطق الشمال، وتحديداً مدينة غزة، وتحديداً المناطق المحيطة بالمستشفيات، وهي مناطق يعرف العدو أن فيها مداخل لشبكة الأنفاق، وأن فيها مخارج لها.

وبالتالي، فإن العدو يعرف أن الوقت يعمل لمصلحة المقاومة، وأن كل يوم يمرّ يعني أن المقاومة تستعيد قدرتها على الحركة، وأن الأنفاق التي دُمّرت أو أُغلقت يمكن إعادة فتحها، وأن الأسرى الذين يُقتلون في القصف يمكن أن يتحوّلوا إلى ورقة ضغط، وأن الأنفاق التي يتم اكتشافها يمكن أن تكون مصيدة للعدو.

وبالتالي، فإن العدو يعرف أن الوقت يعمل ضده، وأن كل يوم يمرّ يعني أن المقاومة تستعيد قدرتها على الحركة، وأن الأنفاق التي دُمّرت أو أُغلقت يمكن إعادة فتحها، وأن الأسرى الذين يُقتلون في القصف يمكن أن يتحوّلوا إلى ورقة ضغط، وأن الأنفاق التي يتم اكتشافها يمكن أن تكون مصيدة للعدو.

وبالتالي، فإن العدو يعرف أن الوقت يعمل ضده، وأن كل يوم يمرّ يعني أن المقاومة تستعيد قدرتها على الحركة، وأن الأنفاق التي دُمّرت أو أُغلقت يمكن إعادة فتحها، وأن الأسرى الذين يُقتلون في القصف يمكن أن يتحوّلوا إلى ورقة ضغط، وأن الأنفاق التي يتم اكتشافها يمكن أن تكون مصيدة للعدو.

وبالتالي، فإن العدو يعرف أن الوقت يعمل ضده، وأن كل يوم يمرّ يعني أن المقاومة تستعيد قدرتها على الحركة، وأن الأنفاق التي دُمّرت أو أُغلقت يمكن إعادة فتحها، وأن الأسرى الذين يُقتلون في القصف يمكن أن يتحوّلوا إلى ورقة ضغط، وأن الأنفاق التي يتم اكتشافها يمكن أن تكون مصيدة للعدو.

طوفان الأقصى

1- مدى توقّع حدوث حرب شاملة بحسب المذاهب					
الإجابة	المذاهب				المجموع
	شيعة	سنّة	مسيحيون	دروز	
نعم	42,4٪	35,6٪	30,1٪	39,3٪	38,0٪
كلا	57,6٪	64,4٪	69,9٪	60,7٪	62,0٪
المجموع	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪

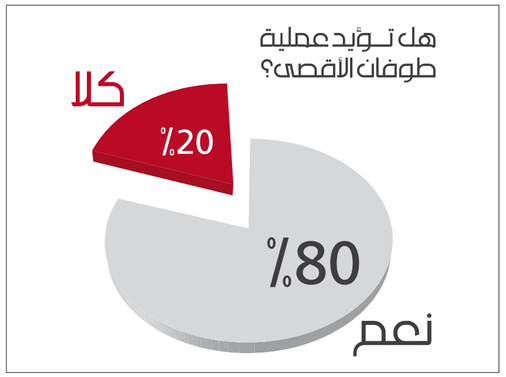

من تظاهرة الجماعة الإسلامية أول من أمس في بيروت (مروان بوحيدر)

54٪ مع خيار المقاومة إشغال العدو على الحدود
75٪ من اللبنانيين: لا حياد في الحرب على غزة

80٪ من اللبنانيين يؤيدون عملية «طوفان الأقصى» التي نفّذتها كتائب القسام في السابع من تشرين الأول الجاري، فيما لاقى خيار الوقوف على الحياد في المعركة الحالية رفضاً واسعاً (75٪) بين مختلف المذاهب. وأيّد أكثر من النصف إشغال العدو بعمليات على الحدود كما يفعل حزب الله حالياً، فيما طالب 32٪ بفتح الجبهة الجنوبية والانخراط في المعركة. وسُجّل تقارب لافت في النتائج بين فئتي المستطلعين السنّة والشيعة في تأييد العملية ودعم ردود المقاومة. ووفقاً لاستطلاع للرأي أجرى حديثاً، حمّلت الأكثرية الساحقة أميركا وإسرائيل مسؤولية التصعيد مقابل نسبة متدنّية جدّاً حمّلت المسؤولية لإيران وحماس، وقوبلت المواقف الأميركية والأوروبية والخليجية والمصرية من الحرب برفض واسع. الاستطلاع أجراه المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، في 17 الجاري، وشملت العيّنة 400 مستطلَع من مختلف المناطق (51,5٪ ذكور 48,5٪ إناث)، وذلك للوقوف على مدى تأييد اللبنانيين للعملية، ومعرفة آرائهم بالمواقف الدولية والعربية والموقف اللبناني منها.

وردّاً على سؤال: هل تؤيد عملية «طوفان الأقصى»؟، فاقت نسبة المؤيدين 80٪ من المستطلعين مقابل معارضة أقل من 20٪. وقال 42,3٪ من المعارضين (20٪) إن عدم تأييدهم للعملية يعود لكونهم «لا يؤيدون الحرب»، و26,9٪ إنهم «يؤيّدون السلام»، و25٪ يرون أن «لا جدوى من العملية»، فيما أعرب 5,1٪ عن اعتقادهم بأن حركة حماس ليست هي من نفّذ العملية.

وحازت «طوفان الأقصى» نسبة تأييد عالية عند مختلف المذاهب، تخطت عند الشيعة 98٪، وعند السُّنّة والدروز حوالى 86٪ لكل منهما، وعند المسيحيين حوالى 60٪ (الجدول رقم 2).

وبالجواب عن سؤال: كيف تقيّم ردود الفعل المحلية والعربية والدولية على العدوان الإسرائيلي على غزة؟، حظي الموقف اللبناني الرسمي بتأييد 62٪ من المستطلَعين، وموقف دول الخليج بتأييد 11٪ منهم، وموقف مصر بتأييد 25,8٪ تقريباً، وأيّد الموقف الروسي 55٪، فيما تدنّت نسبة مؤيّدي الموقف الأميركي والأوروبي إلى أقل من 6٪ لكل منهما، والموقف التركي إلى أقل من 4٪.

> 81٪ حمّلوا مسؤولية التصعيد للولايات المتحدة وإسرائيل، و13٪ لإيران، و5٪ لحركة حماس

وأعرب 80٪ من الشيعة وحوالى 69٪ من السُّنّة و42٪ من المسيحيين و54٪ من الدروز. أما موقف دول الخليج، فحظي بنسبة عالية من الرفض، إذ رفضه 94٪ من الشيعة و60٪ من السُّنة و59٪ من المسيحيين و64٪ من الدروز. وقوبلت المواقف الأميركية والتركية والمصرية والأوروبية برفض واسع لدى مختلف المذاهب اللبنانية. أما الموقف الروسي، فأيّده 86٪ تقريباً من الشيعة و44٪ من السُّنّة و40٪ من المسيحيين و46٪ من الدروز.

وردّاً على سؤال: ما الذي يجب فعله في لبنان تجاه العدوان على غزة؟ حظي خيار «التنديد السياسي والإعلامي والشعبي» بالعدوان على أعلى نسبة تأييد من المستطلَعين بلغت أكثر من 77٪، مقابل أكثر من 52٪ أيّدوا إشغال العدو بعمليات على الحدود، و32٪ أيّدوا فتح الجبهة الجنوبية والانخراط في المعركة فوراً، أما الخيار المتمثل بالحياد، فأيّده 26٪ وعارضه 74٪.

خيار التنديد أيّده 97٪ تقريباً من الشيعة و84٪ من السُّنّة و55٪ من المسيحيين و75٪ من الدروز. أما خيار الحياد، فشهد أقل مستوى تأييد، إذ عارضه أكثر من 99٪ من الشيعة و75٪ من السُّنّة و71٪ من الدروز و50٪ من المسيحيين. وتقدم خيار «إشغال العدوّ بالعمليات على الحدود» عند جميع المذاهب، فيما أيّد خيار «فتح الجبهة الجنوبية فوراً» نسب ملحوظة شملت نصف الشيعة وثُلث السُّنّة وحوالى 13٪ من المسيحيين و40٪ من الدروز، علماً أنّ من أيّد خيار «فتح الجبهة الجنوبيّة» أيّد أيضاً خيار «إشغال العدو على الحدود»، إذ تعادل نسبة من يؤيّد أحد هذين الخيارين أو الخيارين معاً حوالى 54٪ (الجدول رقم 4).

وعن المسؤول عن تصعيد الوضع في المنطقة؟، أكد أكثر من 47٪ أن الولايات المتحدة هي المسؤولة عن التصعيد، في حين حمّل حوالى 34٪ مسؤولية التصعيد لإسرائيل، و13٪ لإيران، و5٪ لحركة حماس.

حمّل معظم اللبنانيين (47٪) أميركا أولاً وإسرائيل ثانياً (34٪) مسؤولية التصعيد في المنطقة، مقابل 13٪ لإيران و5٪ لحركة حماس. وتدنّت نسبة من حمّل إيران المسؤولية عند الشيعة إلى 1٪ وعند السُّنة إلى 12٪ وعند المسيحيين والدروز إلى 22٪ لكل منهما. أما حركة حماس، فلم يحمّلها المسؤولية سوى نسبة قليلة من اللبنانيين، أعلاها عند المسيحيين بنسبة 10٪ (الجدول رقم 3).

وأعرب 64٪ من المستطلَعين عن اعتقادهم بأن الأوضاع لن تتجه إلى حرب شاملة، مقابل 36٪ رأوا عكس ذلك. وبلغت نسبة من يتوقع حدوث حرب شاملة من الشيعة 42٪ ومن السُّنّة 36٪ ومن المسيحيين 30٪ ومن الدروز 40٪ (الجدول رقم 1).

(الأخبار)

2- تأييد عملية طوفان الأقصى على المستوى المذهبي					
تأييد	المذهب				المجموع
	شيعة	سنة	مسيحيون	دروز	
نعم	98,3٪	85,6٪	59,6٪	85,7٪	80,5٪
كلا	1,7٪	14,4٪	40,4٪	14,3٪	19,5٪
المجموع	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪

3- المسؤول عن التصعيد في المنطقة بحسب المذاهب					
الجهة	المذهب				المجموع
	شيعة	سنة	مسيحيون	دروز	
أميركا	52,0٪	53,8٪	38,5٪	48,8٪	46,4٪
«إسرائيل»	46,4٪	30,8٪	29,0٪	24,4٪	30,6٪
المقاومة/حماس	0,6٪	3,6٪	10,4٪	4,9٪	1,1٪
إيران	1,1٪	11,8٪	22,1٪	22,0٪	100,0٪
المجموع	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	

4- المطلوب فعله في لبنان بحسب المذاهب						
المطلوب فعله		المذهب				المجموع
		شيعة	سنّة	مسيحيون	دروز	
فتح الجبهة الجنوبية والانخراط في المعركة فورا	نعم	50,8٪	33,1٪	12,5٪	39,3٪	31,8٪
	كلا	49,2٪	66,9٪	87,5٪	60,7٪	68,3٪
إشغال العدو بالعمليات على الحدود	نعم	84,7٪	50,0٪	24,3٪	60,7٪	52,3٪
	كلا	15,3٪	50,0٪	75,7٪	39,3٪	47,8٪
المجموع		100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪
التنديد السياسي والإعلامي والشعبي	نعم	96,6٪	83,9٪	55,1٪	75,0٪	77,3٪
	كلا	3,4٪	16,1٪	44,9٪	25,0٪	22,8٪
المجموع		100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪
الحياد	نعم	0,8٪	24,6٪	50,0٪	28,6٪	26,5٪
	كلا	99,2٪	75,4٪	50,0٪	71,4٪	73,5٪
المجموع		100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪	100,0٪

مقالة

غزّة تُسقط النّفاق الأوروبي بالضربة القاضية

فراس الشوفي

لا تُقرأ مواقف قادة دول أوروبا الغربية، بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، من على أرض فلسطين المحتلّة خلال الأسبوعين الأخيرين، إلّا إعلان عداء للفلسطينيين، والعالمَيْن العربي والإسلامي، ومليارات من سكان الأرض.

منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، وتسيُّد النموذج الأميركي على كل نواحي الحياة الإنسانية، صدعت دول أوروبا الغربية، بإداراتها وأحزابها ونُخَبِها وإعلامها، دول الجنوب العالمي بالعولمة والقيم الواحدة وسيادة القانون وحق الاختلاف والديموقراطية.

وإذا كانت بعض محطّات الصراعات في العقود الثلاثة الأخيرة، من العدوان على يوغوسلافيا، إلى العدوان الأول على العراق ثم احتلاله والعدوان على ليبيا والحرب على سوريا، قد تركت شيئاً من الالتباس حيال مواقف الدول الأوروبية العميقة، فإن محطّة غزّة، وجرائم الحرب التي تتعرّض لها فلسطين منذ السابع من أكتوبر، على الأقلّ، أسقطت النّفاق الأوروبي، بالضربة القاضية.

فحتى التباين بين الدول الأوروبية، الذي ساد في حربَي العراق، الأولى والثانية، مثلاً، والتمايز النسبي مع الموقف الأميركي، وعصر الملاحقات الأوروبية للقيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية بتهم جرائم الحرب، انطوى عشيّة 7 أكتوبر أمام امتحان المحرقة المستمرة بحقّ غزّة، والعدوان الوحشي في الضّفة الغربية.

فجأةً، أُهملت من حسابات اليمين واليسار الأوروبيَّيْن، المتماهيَيْن في خيارات السياسات الخارجية، كل أدوات الإقناع بالأدوار الأوروبية الجديدة، لصالح الانحياز الكامل إلى استمرار المجزرة الإسرائيلية في غزّة، فانتقل العالم من عصر حساب البصمة الكربونية، إلى قواعد القرن الثامن عشر في رحلة عبر الزمن نحو أصول النموذج الاستعماري الأوروبي.

بعد هذا التطرّف الأوروبي، لم يعد ممكناً اعتبار المواقف الحالية، مواقف متفرّقة أو نابعة من ضغط اللحظة السياسيّة، أو بفعل التأثير الأميركي واللوبيات اليهودية، إذ إن الشعور الأوروبي العميق بتهديد إسرائيل، بوصفها أحد أبرز إنجازات نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق، دفع الدول الأوروبية الغربية إلى الاستنفار، دفاعاً عمّا تعتبره جزءاً من أمنها القومي، وإحباطاً لأي محاولات طموحة لدى شعوب المنطقة والجنوب بشكلٍ عام.

طبعاً، لا يمكن إهمال التأثير السياسي للحرب الروسية - الأوكرانية، على الموقف والدعم الأوروبيَّيْن الغربيَّيْن لإسرائيل في المرحلة الأخيرة. فأوروبا، منذ صبيحة 25 شباط 2022، في حالة حرب معلنة ضد موسكو، تتقدّم فيها على الأميركيين، بوصف روسيا تهديداً وجودياً عليها. وأوروبا الغربية، القلقة أصلاً من تنامي تعاطف العالم الإسلامي مع روسيا، وجدت أخيراً أن إسرائيل هي الشريك الدفاعي الثاني بعد الولايات المتّحدة. وباتت إسرائيل المصدر الأساس للكثير من موارد التسليح الأوروبي (ما عدا الطائرات المقاتلة)، ومعمل التكنولوجيا والأسلحة الذي يزوّد الجيوش الأوروبية بما ينقصها من نماذج الصواريخ المضادة للدروع والراجمات والمدفعيّة وأجهزة الرصد والتشويش، فضلاً عن الدفاعات الجويّة التي تسابق أوروبا الوقت للحصول عليها مع تقدّم التهديد الصاروخي الروسي إلى العمق الأوروبي.

كما لا يمكن غضّ الطرف، عن التحوّلات التي كانت قد بدأت قبل سنوات تجاه ملفّات الهجرة، وانفلشت في العام الحالي، مع انتقال أوروبا إلى خطاب اليمين التقليدي والتغيير في النظرة إلى الوافدين. فحتى الأحزاب التي تبنّت في ما مضى سياسة استقبال المهاجرين ودمجهم في المجتمعات الأوروبية لتلبية الحاجات الاقتصادية والتحديّات الديموغرافية، كالحزب الديموقراطي المسيحي في ألمانيا مثلاً، الذي يجد نفسه اليوم في خندق واحد مع حزب البديل اليميني، في حربه المعلنة على سياسات الهجرة.

ولعلّ بعض القوى الأوروبية الغربية، وجدت في «طوفان الأقصى» فرصةً لا تُعوّض لتعميم سياساتها تجاه الوافدين، وتقوية ثقافة الخوف، فيما وجدت قوىً أخرى، مناسبةً لإيقاظ عصبيّات دينية، كان العالم قد توهّم بأنها اندثرت في أوروبا.

وإن كان المستشار الألماني أولف شولتز، مثل كلّ ألماني، وجد الدّفاع عن إسرائيل فرصةً للتكفير عن ذنبٍ لم يرتكبه الفلسطينيون، فإن إيمانويل ماكرون أكثر من يحتاج إلى الاستثمار في الحرب الدينية، بعد فشل خطّطه الاقتصادية والتقهقر الفرنسي في مناطق النفوذ التاريخية. وبينما فشلت جورجيا ميلوني في الحفاظ على كلّ شعارات ما قبل تولّي رئاسة الحكومة الإيطالية، تُطرح الأسئلة عن ريشي سوناك، وعمّا إذا كان يخلط بين أصوله الهندوسية وموقعه في رئاسة الحكومة البريطانية، ليضيف بعض البهارات الزائدة على الموقف البريطاني تجاه إسرائيل.

لقد أسّس الموقف الأوروبي من العدوان على غزّة، للكثير من التحوّلات على العلاقة بين العالمَيْن العربي والإسلامي وأوروبا - الغربية ستترك أثرها لعقود. لا بدّ أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أسعد السعداء بهذه النتائج، ومعه الرئيس الصيني شي جين بينغ، بينما يستعدّ الرئيس التركي رجب إردوغان لتلقّف نداء شعارات الحرب الدينية، لتعزيز دوره في العالم الإسلامي. أمّا أوروبا، من الآن إلى المذبحة المقبلة، فقفدت قدرتها على الكذب.

صواريخ المقاومة تتجاوز «الحافة الأمامية»

شهدت المعركة على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة، أمس، ارتقاءً نوعياً جديداً تمثّل في توسيع المقاومة دائرة الردّ، إذ طاولت صواريخها المستوطنات والأهداف الإسرائيلية «خلف الحافة الأمامية» مثل كريات شمونة ونهاريا الساحلية وغيرهما، إضافة إلى دخول صواريخ أرض - جو المعركة لإسقاط المسيّرات الإسرائيلية.

وفيما ربط الإعلام العبري اتّساع رقعة استهداف المقاومة في شمال فلسطين المحتلة بمحاولات جيش العدو التقدّم البري في الجبهة الجنوبية مع غزّة، يبدو أن المقاومة في لبنان تحاول تثبيت معادلة توسيع استهداف المستوطنات مقابل سياسة العدو في الأيام الأخيرة المتمثّلة بالتوسيع التدريجي لقصف القرى الجنوبية، خصوصاً أن جيش الاحتلال استهدف أمس ثلاثة منازل مدنية بالمُسيّرات في كل من عيتا الشعب ومارون الرأس والعديسة.

أمام هذا الواقع، بدأ الإعلام العبري يدقّ ناقوس الخطر، معتبراً أنه «إذا لم يتحرك الجيش الإسرائيلي لوقف ما يجري في الشمال في أسرع وقت ممكن، وبكل قوته، فسنندم على كل دقيقة»، في حين يؤكّد المستوطنون في المستوطنات الأمامية عدم استعدادهم للعودة إليها ما دامت «قوات الرضوان» على حدودها، على ما نقلت صحيفة «إسرائيل اليوم» عن مستوطنين في المطلة قبالة بلدة كفركلا الجنوبية.

وواصل حزب الله أمس، استهداف مواقع وثكنات عسكرية إسرائيلية على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، فقصف مقاتلوه صباحاً موقع «مسكاف عام» بالأسلحة المناسبة ودمّروا قسماً من تجهيزاته الفنية والتقنية. كما استهدفوا ظهراً موقع السماقة في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة بالأسلحة المناسبة وأوقعوا فيه إصابات مباشرة. وبعد الظهر، رصد مقاتلو الحزب قوة مشاة إسرائيلية في موقع المالكية ومحيطه، فقاموا باستهدافها بالأسلحة المناسبة وأوقعوا فيها إصابات مؤكّدة. وعصراً، أعلن الحزب استهداف مُسيّرة إسرائيلية في منطقة شرق الخيام بصاروخ أرض - جو وإصابتها إصابة مباشرة، وشوهدت بالعين المجرّدة وهي تسقط داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومساءً، أعلن الحزب استهداف موقع راميا بالأسلحة المناسبة وتدمير قسم من تجهيزاته، إضافة إلى استهداف موقع راميا بالأسلحة المناسبة وتدمير قسم من تجهيزاته، وكذلك استهداف قوة مشاة إسرائيلية في موقع بركة ريشا بالأسلحة الصاروخية الموجّهة وإيقاع إصابات مؤكدة فيها إضافة إلى إصابة تجهيزاته بشكل مباشر وكان لفصائل المقاومة المتعدّدة «حصّة» في استهداف العدو، إذ أعلنت

> أعلنت الجماعة الإسلامية وكتائب القسام قصف المستوطنات بالصواريخ

«كتائب القسام» في لبنان، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس، «قصف مغتصبة نهاريا شمال فلسطين المحتلة بـ16 صاروخاً، رداً على جرائم الاحتلال بحق أهلنا في غزة». بدورها، أعلنت «قوات الفجر» - الجناح العسكري للجماعة الإسلامية في لبنان «توجيه صليات صاروخية جديدة ومركّزة استهدفت مواقع العدو الصهيوني في محيط مغتصبة كريات شمونة وداخلها في شمال فلسطين المحتلة»، وشدّدت على أن «صلياتنا الصاروخية ستستمر وتزداد كلّما أمعن العدو الصهيوني وتمادى في عدوانه على أهلنا في جنوب لبنان وقطاع غزة»، مؤكّدة قدرتها على «توسيع دائرة ردّنا لثنيه عن عدوانه». في الأثناء، كان الإعلام العبري ينقل أجواء التوتر والإرباك، فتحدّث تارة عن الاشتباه بحدث أمني في مستوطنة «مسكاف عام»، طالباً من سكانها الدخول إلى الملاجئ، وتارة عن إطلاق عدد من قذائف الهاون من لبنان تجاه موقع لجيش الاحتلال في المالكية.

(الأخبار)

طوفان الأقصى

إسرائيل تنزل إلى البرّ... مرغَمة
اختبارات محدودة لا تجلب «النصر»

يحيى دبوق

بدأت إسرائيل خطوتها البرية في قطاع غزة، على «استحياء» ملحوظ جدّاً يشير إلى خشيتها من هذا الخيار. إذ أطلقت توغّلاً حذراً ومحدوداً، وعلى فترات زمنية متقطّعة، استبقتها بنيران تمهيدية هائلة، في ما يدلّ على تردّد مستمرّ لديها، بعدما مُنع الجيش الإسرائيلي طويلاً من اللجوء إلى هذه الخطوة كأداة لإنجاز أهداف الحروب

> تخشى إسرائيل أن تخسر الحرب، أو بعبارة أدق: أن تنتهي الحرب وما زالت خاسرة فيها

والمواجهات. ويزيد التوغل، وفقاً للصورة التي جاء فيها، من صعوبة تقدير القرار الصادر عن إسرائيل في خصوص الخيار البري نفسه، وما سيليه من خيارات، بما يعيد طرْح الأسئلة التي بقيت على حالها: هل تلجأ إسرائيل إلى «المناورة البرية»؟ أم أنها ستكتفي بمناورات محدودة النطاق والأهداف، شبيهة بتلك التي حدثت في اليومين الماضيين؟ والجدير ذكره، هنا، أن التوغّلات المحدودة تنبّئ أيضاً بأن الخشية من عدم الدخول البري، كبيرة جدّاً، كون ذلك سيؤدّي إلى أضرار أكبر وأشمل من أيّ ضرر قد يلحق بإسرائيل أثناء تنفيذ الخيار البري، الذي تدفعها كلفته المتوقّعة إلى التريّث، قبل تفعيل المبادرة العملية في الميدان.

في هذا الإطار، حُكي في الأيام الأخيرة عن أن تجميد الخيار البرّي مرتبط، كما يبدو، بمفاوضات تبادل الأسرى. كما كان لافتاً ربْط التأخير في مباشرة المناورة البرية، بالضرورات الميدانية واللوجستية للقوات الأميركية في المنطقة، والتي تحتاج، وفقاً للتقارير الأميركية والإسرائيلية، إلى مزيد من الوقت لاستكمال استعدادها لمواجهة الهجمات التي تنتظرها في حال بدأت العملية البرية. لكن، هل الأسباب التي سبقت لتبرير التأخّر البرّي، هي الأسباب الحقيقية، أم أنها مجرّد مسوّغات لتغطية السبب الرئيسي؟ وفقاً لما يرد على لسان الخبراء في تل أبيب، فإن جزءاً من الحقيقة، وربّما كلها، سيتكشّف لاحقاً، وربّما في أعقاب انتهاء الحرب، وحينئذٍ فقط يمكن الإجابة عن تلك الأسئلة.

لكن، إن كانت العملية البرية غير مقدور عليها فعلاً، فهل هذا يعني انتفاءها؟ بالتأكيد لا، إلا ما حدث إلى الآن يُعدّ بمنزلة محاولة لتلبية حاجات موضعية في أكثر من اتّجاه، يمكن إجمالها بالآتي: التأكيد أن الجيش الإسرائيلي «لا يخشى» الهجوم البري، تسليط مزيد من الضغط على حركة «حماس» بما يؤمل أن يدفعها إلى الانكفاء عن سقوفها العالية في مسألة الأسرى، طمأنة الجمهور الإسرائيلي إلى أنه في مقدور الجيش تأمين «البضاعة الأمنية» اللازمة، وفحص جهوزية «حماس» وخطوط دفاعاتها الأولى ميدانياً، وكذلك فحص النيات التصعيدية لأكثر من جهة على امتداد ساحات المواجهة، بعدما أخفقت التقديرات الاستخبارية في حسم نيّات تلك الجهات، وتحديد طبيعة الخطوط الحمر التي يمكن أن تدفعها إلى تفعيل قدراتها.

بناءً عليه، يُطرح السؤال: متى يُصدر القرار بدء «المناورة البرية»؟ يصعب تحديد ذلك، كون أصل القرار لم يُحسم بعد، لكن الأكيد أن إسرائيل تخشى أن تخسر الحرب، أو بعبارة أدق: أن تنتهي الحرب وما زالت خاسرة فيها. على أنها تدرك في الوقت نفسه أنه لا استعادة لـ«المكانة» التي كانت عليها، من دون دخول برّي «ساحق»، ما دونه عراقيل وأثمان كثيرة، وهو الأمر الذي يفسّر استطالة المراوحة في هذه الحرب، مقارنةً بما سبقها من حروب. أمّا إن حسمت إسرائيل قرارها بالاستعاضة عن الخيار البري بمناورات وتوغلات محدودة ومحسوبة جيداً، فستكون قد حكمت على نفسها بخسارة مضاعفة.

المقاومة تفتح جعبتها: هذا ما أعددناه لكم

أحمد العبد

في عدوان الاحتلال على لبنان في عام 2006، كانت أولوية قادة الجيش الإسرائيلي الحصول على «صورة نصر» يمكن ترويجها للمجتمع الإسرائيلي. آنذاك، انصبّ الجهد الإسرائيلي على محاولة رفع علم الاحتلال فوق منزل في مدينة بنت جبيل وتصويره، وتنظيم استعراض عسكري لأرتال الدبابات في المدينة في ردّ على الخطاب الذي ألقاه

> تأتي الضغوط المتزايدة داخله إسرائيل على «كابينت» الحرب، لتفاقم التعقيدات المحيطة بتنفيذ العملية البرية

الأمين العام لـ«حزب الله»، السيد حسن نصرالله، إبّان دحر الاحتلال عام 2000، والذي غرف بخطاب «بيت العنكبوت». ما خطّط العدو له في بنت جبيل، هو في الحقيقة نموذج من عقلية الإسرائيلي المهزوم، والتي يبدو أنها لا تزال تسيطر عليه، اليوم، في محاولاته ترميم هيبة جيشه، وإخفاء عدد قتلاه وفشله، وتحصيل «الصورة» نفسها التي بات يبحث عنها في توغّلاته البرية التي كثّفها منذ نحو 3 أيام على حدود قطاع غزة.

وعلى رغم قلّة المعلومات الواردة من الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للقطاع، حيث ينفّذ جيش الاحتلال عمليات التوغّل البري، لكن ما هو مؤكّد حتى هذه اللحظة أنّ هذه العمليات لا تزال محدودة للغاية، ولم تحقّق أي اختراق، إذ إن آليات العدو لا تكاد تقترب من السياج الفاصل على حدود غزة حتى تعود إلى ما وراءه، وسط تصدّي المقاومة لها بقوة، على الرغم من كثافة الغطاء الجوي الناري الذي يرافق محاولات التوغّل. وبحسب المعلومات المتطابقة، فإن قوات الاحتلال لم تستطع تجاوز سوى 100 متر فقط في منطقة مفتوحة ومعزولة وبعيدة تماماً عن السكان، فيما يعتبر محلّلون عسكريون وخبراء أن التوغّل حتى مسافة 1,5 كلم شمال القطاع، لا يُعدّ إنجازاً عسكرياً، كون تلك المنطقة تُعتبر منطقة مفتوحة وفارغة من السكان والأبنية، بينما الأصعب هو ما يأتي بعدها.

ومع عودة شبكة الاتصالات والإنترنت إلى قطاع غزة، أمس، رشحت بعض المعلومات حول محاولات التوغّل التي ينفذها جيش الاحتلال، والتي لا تزال بطيئة للغاية، ومترافقة مع وقوع خسائر أكيدة، وإن اكتفى الجيش الإسرائيلي، صباح أمس، بالإعلان عن إصابة ضابط بجروح خطيرة بقذيفة «هاون»، وجندي بجروح متوسطة في اشتباك مسلح، ومساءً بالإعلان عن «إصابة 3 جنود بينهم 2 في حالة خطيرة منذ بدء العملية العسكرية البرية».

وفي المقابل، أكّد الناطق باسم «كتائب القسام»، أبو عبيدة، أن المقاومة «ما زالت في انتظارهم كي يقعوا في كمائن قاتلة، والتسلّل خلف خطوط العدو من جهة أخرى، وهذا ما تجسّد عصر أمس قرب موقع «إيرز» العسكري، حيث تمكّن مقاومون من التسلّل عبر نفق إلى ما وراء خطوط العدو والاشتباك مع قوات الاحتلال، قرب موقع «إيرز» العسكري، في ما يؤشّر إلى أن الأنفاق ستشكّل كابوساً كبيراً بالنسبة إلى الجيش الإسرائيلي. وأكّدت «كتائب القسام»، في بيانات متتالية، «اشتعال النيران في عدد من الآليات المستهدفة غرب موقع إيرز والإجهاز على عدد من الجنود في داخلها»، و«استهداف دبابتين للقوات المتوغّلة شمال غرب غزة واشتعال النيران فيهما». كما أعلنت أنها دكّت «موقع إيرز الصهيوني بقذائف الهاون والصواريخ لقطع النجدة عن الآليات المشتعلة التي تم استهدافها في محيط الموقع»، وأن «اشتباكات عنيفة بالأسلحة الرشاشة والمضادة للدروع» خاضها مقاتلوها شمال غرب غزة. أيضاً، أعلنت «القسام» استهداف تجمّع لآليات الاحتلال المتوغّلة في منطقة الأمريكية شمال غرب بيت لاهيا بطائرة «الزواري» الانتحارية، وأن زمن بيع الوهم للعالم حول أكذوبة الجيش الذي لا يُقهر والميركافا الخارقة انتهى بعد أن حطّمته المقاومة في غلاف غزة».

بات واضحاً أن الية عمل المقاومة تقوم على استدراج القوات الى كمائن قاتلة، والتسلل خلف خطوط العدو (أ ف ب)

وبات واضحاً أن آلية عمل المقاومة تقوم على استدراج القوات إلى كمائن قاتلة من جهة، والتسلّل خلف خطوط العدو من جهة أخرى، وهذا ما تجسّد عصر أمس قرب موقع «إيرز» العسكري، حيث تمكّن مقاومون من التسلّل عبر نفق إلى ما وراء خطوط العدو والاشتباك مع قوات الاحتلال، قرب موقع «إيرز» العسكري، في ما يؤشّر إلى أن الأنفاق ستشكّل كابوساً كبيراً بالنسبة إلى الجيش الإسرائيلي. وأكّدت «كتائب القسام»، في بيانات متتالية، «اشتعال النيران في عدد من الآليات المستهدفة غرب موقع إيرز والإجهاز على عدد من الجنود في داخلها»، و«استهداف دبابتين للقوات المتوغّلة شمال غرب غزة واشتعال النيران فيهما». كما أعلنت أنها دكّت «موقع إيرز الصهيوني بقذائف الهاون والصواريخ لقطع النجدة عن الآليات المشتعلة التي تم استهدافها في محيط الموقع»، وأن «اشتباكات عنيفة بالأسلحة الرشاشة والمضادة للدروع» خاضها مقاتلوها شمال غرب غزة. أيضاً، أعلنت «القسام» استهداف تجمّع لآليات الاحتلال المتوغّلة في منطقة الأمريكية شمال غرب بيت لاهيا بطائرة «الزواري» الانتحارية، وأن زمن بيع الوهم للعالم حول أكذوبة الجيش الذي لا يُقهر والميركافا الخارقة انتهى بعد أن حطّمته المقاومة في غلاف غزة».

الغرب يبارك إسرائيل... بيأس:
«ليس في الإمكان أبدع ممّا كان»

خضر خروبي

انقطاع شبه تام في خدمات الاتصالات، والإنترنت، بنسبة قاربت الـ90%، مصحوبٌ بأزمة نقص حاد في الإمدادات الأساسية، من وقود وغذاء وأدوية؛ هكذا أعدّت إسرائيل لبدء توغّلها البرّي في غزة، في موازاة تكثيف الغارات الجوية التي بلغت 150 غارة، ليل الجمعة - السبت، وبصورة خاصة في شمال القطاع المحاصر. وبهذا التدمير الكارثي، أرادت أن تبدو أمام العالم، ومن ضمنه شركاؤها الإستراتيجيون في واشنطن، جاهزة لمعركة تقول إنها ستكون «طويلة» و«صعبة».

الإعلان عن التوغّل البرّي، وإنْ بدا محدوداً إلى الآن، جاء على لسان أعلى هرم السلطتَين السياسية والعسكرية في إسرائيل، حين «زفّ» رئيس وزرائها، بنيامين نتنياهو، لجمهوره، وللعالم، قرار إطلاق ما وصفه بـ«المرحلة الثانية من الحرب» ضد حركة «حماس». على أن ما أعلنه يرقى إلى ما يمكن وصفه بـ«نصف قرار»، ولا سيما أنه لم يشمل إعلاناً عن اجتياح برّي للقطاع كثُر الحديث عنه أخيراً، في ما يمكن إدراجه في إطار الإرباك الحاصل على مستوى الدوائر العسكرية والسياسية الإسرائيلية. وفي ظلّ عدم نشر معلومات تفصيلية حول مسار تحرّك جيش الاحتلال انطلاقاً من حدود القطاع، والمترافق مع قصف غير مسبوق، جاء حديث الناطق باسم الجيش، دانييل هاغاري، مقتضباً ومبهماً حول العمليات التي تنفّذها قواته في الجزء الشمالي من غزة، إذ اكتفى بالقول إنّها «توسّع نشاطها البرّي هناك، توازياً مع زيادة حجمها وعديدها». ومن جهته، أكّد رئيس الأركان الإسرائيلي، هرتسي هاليفي، أنّ «أهداف الحرب تتطلّب دخول البرّ»، مشدّداً على أن «لا إنجازات من دون الحاجة إلى احتلال القطاع.

خبراء عسكريون ورؤساء حكومات سابقون يدلون بدلوهم

لكنّ رئيس حكومة الاحتلال الأسبق، إيهود بارك، وهو جنرال متقاعد، ووزير أمن سابق، يرى أنه «لا سبيل سوى إرسال عشرات الآلاف من الجنود إلى الأرض»، مشدّداً على أن «هذه مهمّة طويلة ودموية»، مع تحذيره من أن المواجهة البرية في غزة تنطوي على احتمالات اندلاع حرب مع «حزب الله»، وتعرُّض المواقع الإسرائيلية في الجولان لهجمات، إلى جانب وقوع اضطرابات خطيرة في الضفة الغربية، تقارب نسبة حدوثها 50%. ويحاول بارك، في مقابلة صحافية، أن يؤكد قناعته بإمكانية تدمير معظم قدرات «حماس»، وإقامة منطقة عازلة على طول الحدود مع غزة، قبل معاودة الانسحاب منها ضمن ترتيبات تكفل تسليمها لقوّة عربية متعدّدة الجنسيات، في مرحلة أولى، والسلطة الفلسطينية في مرحلة ثانية.

لويد أوستن: «المرشد» الأميركي

وبالحديث عن دور واشنطن، فقد حاولت الأخيرة، ومن خلال تسريبات صحافية، الإيحاء بأن مسؤوليها «نصحوا» شركاءهم الإسرائيليين بتأجيل قرار من هذا النوع، وإعادة دراسته، من الهجوم البري، تسليط مزيد من الضغط على حركة «حماس» بما يؤمل أن يدفعها إلى الانكفاء عن سقوفها العالية في مسألة الأسرى، طمأنة الجمهور الإسرائيلي إلى أنه في مقدور الجيش تأمين «البضاعة الأمنية» اللازمة، وفحص جهوزية «حماس» وخطوط دفاعاتها الأولى ميدانياً، وكذلك فحص النيات التصعيدية لأكثر من جهة على امتداد ساحات المواجهة، بعدما أخفقت التقديرات الاستخبارية في حسم نيّات تلك الجهات، وتحديد طبيعة الخطوط الحمر التي يمكن أن تدفعها إلى تفعيل قدراتها.

بناءً عليه، يُطرح السؤال: متى يُصدر القرار بدء «المناورة البرية»؟ يصعب تحديد ذلك، كون أصل القرار لم يُحسم بعد، لكن الأكيد أن إسرائيل تخشى أن تخسر الحرب، أو بعبارة أدق: أن تنتهي الحرب وما زالت خاسرة فيها. على أنها تدرك في الوقت نفسه أنه لا استعادة لـ«المكانة» التي كانت عليها، من دون دخول برّي «ساحق»، ما دونه عراقيل وأثمان كثيرة، وهو الأمر الذي يفسّر استطالة المراوحة في هذه الحرب، مقارنةً بما سبقها من حروب. أمّا إن حسمت إسرائيل قرارها بالاستعاضة عن الخيار البري بمناورات وتوغلات محدودة ومحسوبة جيداً، فستكون قد حكمت على نفسها بخسارة مضاعفة.

الثابت، أنّ مديات ونطاق هذا التحرّك الميداني المستجدّ، والمتركّز على التقدّم في اتّجاه بعض الجيوب في شمال القطاع وجنوبه، وبخاصّة على المحور الشمالي الشرقي لبيت حانون، كل ذلك يؤكد عدم حسم مسألة السير في عملية برية واسعة النطاق؛ إذ يشير محلّلون غربيون إلى أن وتيرة العمل العسكري للقوات البرية الإسرائيلية على تخوم الجبهة تدور على نطاق أصغر وأضيق، مقارنة بما أشيع سابقاً عن النيّة ببدء هجوم تشارك فيه قوة لا يقلّ عديدها عن حجم فرقة. ويعتبر هؤلاء أن أحد العوامل الكامنة خلف هذه الوتيرة البطيئة يرتبط بجملة صعوبات تواجهها القوات الإسرائيلية، لعلّ أبرزها شبكة الأنفاق التي أنشأتها «حماس»، والتي يصل عمق بعضها إلى 130 قدماً، وجوانب أخرى ميدانية تتعلّق بكفاءة المقاومة الفلسطينية في «حرب المدن»، وبحجم الوقت والموارد اللذَين يتطلّبهما خيار الاجتياح، فضلاً عن جوانب سياسية تتصل بالموقف الأميركي. ومن منظور المراقبين الغربيين، فإنّ «تناقضاً جوهرياً» يعتري أهداف حكومة نتنياهو في غزة، إذ إنها تعمل على «اجتثاث حماس»، من ناحية، وتجهد لاستعادة قرابة 200 من الأسرى الإسرائيليين المحتجَزين لدى الحركة، والفصائل الفلسطينية الأخرى، من ناحية أخرى. وشكّل الحديث عن «سيناريوات» العملية البرية، محور اهتمام عدد من القادة الإسرائيليين والأميركيين الحاليين والسابقين، إذ توقّع بعضهم أن تبادر إسرائيل إلى تنفيذ عملية عسكرية برّية على مراحل، بحيث تقوم قوات استطلاع صغيرة الحجم بالتقدّم إلى داخل غزة لتحديد مواقع مقاتلي «حماس» والاشتباك معهم. ولعلّ جانباً من التكتيكات التي يُرجَّح أن تحاول إسرائيل اعتمادها للدخول إلى القطاع، هو ما أورده ميك مولروي، المسؤول الكبير السابق في وزارة الدفاع الأميركية، و«وكالة الاستخبارات المركزية»، والمتخصّص في شؤون الشرق الأوسط، من أنّه «وبمجرّد اكتشاف نقاط الضعف والفجوات (في خطوط دفاع حماس)، فإن عناصر قوة الاستطلاع (الإسرائيلية) سيبادرون إلى الاستعانة بالقوة الهجومية الرئيسية». ومن جهته، يوضح الجنرال المتقاعد في الجيش الأميركي، فريدريك هودغز، والذي سبق أن شارك في حرب العراق، أنّ التكتيكات المشار إليها تُعدّ إحدى الوسائل التي تتّبعها القوات الإسرائيلية «للتقليل من خسائرها البشرية أو الحدّ منها»، زاعماً أنها تندرج أيضاً في إطار مساعيها لـ«تلافي إلحاق الأضرار الجانبية» بالمباني.

كذلك، وقبل أيام، عرض رئيس حكومة الاحتلال السابق، نفتالي بينت، «إستراتيجية» تتمحور حول ما يراه إفشال خطط «حماس»، القائمة على عناصر عدّة، في مقدّمتها ما وصفه بـ«ابتزاز» حكومة نتنياهو في ملفّ الرهائن، إضافة إلى «استنزاف الاقتصاد الإسرائيلي» من خلال اضطرار الحكومة لإعلان التعبئة العامة، وكذلك العمل على «استدراج إسرائيل إلى اجتياح غزة بشكل كامل، وما يعنيه ذلك من إجبار القوات الإسرائيلية على القتال لأسابيع، أو لأشهر على مسرح عمليات مرعب، وغير مألوف بالنسبة إليها»، وما قد ينجم عنه من تفاقم «الضغوط الدبلوماسية» على تل أبيب. وتندرج «إستراتيجية بينت»، ضمن ما يُطلَق عليه «نهج الخنق»، كونها تقضي بإقامة منطقة أمنية عازلة بعمق كيلومترين حول غزة، على أن يُصار إلى تقسيم القطاع من الوسط إلى قطاعَين شمالي وجنوبي، وتحديداً في المنطقة الفاصلة ما بين مدينة غزة، وخانيونس. وينبّه إلى أن الهدف النهائي هو «عزل غزة» على المستوى العسكري، لإراحة الجيش الإسرائيلي، بصورة تتيح وقف حالة التعبئة العامة، وتخفّف الضغط الدولي الناجم عن العملية العسكرية الجوية، مع الاحتفاظ بقدرة عسكرية لتنفيذ مهام برّية مستمرة ومحدّدة الأهداف، على المدى الطويل، من دون الحاجة إلى احتلال القطاع.

ليس في الإمكان أبدع ممّا كان

منطلق «إنساني»، يتعلّق بضرورة ديمومة الجهود الدبلوماسية التي تتولّاها قطر وجهات دولية أخرى، والرامية إلى استعادة الأسرى المحتجزين لدى «حماس»، ومراعاة «القانون الدولي»، ولا سيما لناحية إدخال المساعدات الإغاثية إلى غزة. غير أن تلك «النصائح»، في واقع الأمر، تعكس خشية حقيقية من إمكانية انزلاق الجيش الإسرائيلي نحو مواجهة عسكرية برية واسعة في غزة، هو ليس مستعدّاً لها، وبخاصّة على المستوى البشري، وغير قادر على حسْمها لمصلحته، وسط إمكانية أن تتوسّع إلى جبهات أخرى، وفق مصادر غربية. ما سبق، يتقاطع مع ما كشفت عنه صحيفة «نيويورك تايمز»، حين أشارت إلى أن «قرار إسرائيل الواضح بالعدول عن القيام باجتياح واسع النطاق لقطاع غزة، والاستعاضة عنه بإجراء المزيد من التوغلات البرية المحدودة، أقلّه حتى الآن، ينسجم مع الاقتراحات التي تقدّم بها وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، كاشفة عن مخاوف كانت تسود أوساط الإدارة الأميركية حيال خطط الهجوم البرّي التي كان يعتزم الجيش الإسرائيلي تنفيذها عقب عملية «طوفان الأقصى»، باعتبارها «تفتقر إلى أهداف قابلة للتحقّق»، في إشارة إلى مساعي «اجتثاث حماس».

ويُحكى أيضاً عن أنه، وفي كواليس سلسلة مباحثات بين قيادات عسكرية إسرائيلية وأميركية، في الأسابيع الماضية، في موازاة اتصالات متواصلة شبه يومية بين أوستن، ونظيره يوآف غالانت، في شأن خيارات إسرائيل في التعامل مع قطاع غزة، جرى استبعاد تنفيذ عملية برية واسعة، في ظلّ الظروف الراهنة، باعتبارها تجاوزاً لخطوط حمر لُمّح إليها وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، فضلاً عن كونها تشكّل تهديداً لفرص التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية، وذلك لمصلحة ترجيح الذهاب نحو عملية قصف كثيف مع توغل برّي محدود تنفّذه القوات الخاصة الإسرائيلية، بغرض الاستطلاع. ويشي مسار ووتيرة تحرّك القوات الإسرائيلية الجاري حالياً في غزة بأن «إسرائيل أخذت بنصيحة الأميركيين، أقله حتى الساعة»، وفق «نيويورك تايمز». والواقع أن جزءاً من كواليس المحادثات الأميركية - الإسرائيلية في شأن خطط الحرب، كشف عنه أخيراً القائد السابق للقيادة المركزية الأميركية، جوزف فوتيل، حين تطرّق إلى سيناريوات شملت خيارَي «الاجتياح الكامل والدائم» للقطاع، و«التقدّم السريع نحو مواقع رئيسية» داخله، على أن يتمّ توظيفها في شنّ هجمات ضدّ عناصر «حماس» وبنيتها التحتية، فضلاً عن خيار ثالث هو «الأذكى»، يرتكز على سلاح الجوّ بصورة أساسية، في موازاة الزجّ بقوات برية صغيرة، تقوم بعمليات إغارة سريعة، ومركّزة. ومع ذلك، بلغت مصدر عسكري أميركي، في حديث إلى «المونيتور»، إلى أنّ «هذا هو النهج الذي استخدمناه ضدّ تنظيمَي القاعدة وداعش»، محذّراً، في الوقت نفسه، من أنّ «هناك مستوى عالياً من المخاطر المحتمَلة عنه، ذلك أن القوات تبقى عرضة للاكتشاف باستمرار من قِبَل العدو».

جرى استبعاد تنفيذ عملية برية واسعة، في ظل الظروف الراهنة (أ ف ب)

طوفان الأقصى

غلیان في الضفة: المستوطنون لا يرتدعون

رام الله - أحمد العبد

شهدت الضفة الغربية المحتلة، أول من أمس، حدثَين خطيرَين، أحدهما قرب الخليل والآخر في نابلس، بقدَمان صورة مصغّرة عن التهديدات المحدقة بهذه المنطقة، وبخصوص جوهر المشروع الاستيطاني فيها، والقائم على قتل الفلسطينيين، وتهجيرهم من مدنهم وقراهم، لاستيلاء عليها، في توجّه يحظى آخر فصوله بدعم حكومة بنيامين نتنياهو، أولاً من خلال توفيرها الدعم المالي والعسكري للمستوطنين المسلّحين، وثانياً من طريق الحماية التي يوفّرها الجيش لهؤلاء.

ووقع الحدث الأول في قرية زنوتا جنوب مدينة الظاهرية في أقصى جنوب مدينة الخليل، والتي تصل مساحتها إلى 12 ألف دونم، ويبلغ عدد سكانها قرابة 450 مواطناً، قرّر معظمهم مغادرة أراضيهم في ظلّ تصاعد اعتداءات المستوطنين عليهم (رحل 400 شخص يُشكّلون 36 عائلة)، ولم يبقَ منهم سوى ثلاث أسر من عائلة الطل، لا يتجاوز عدد أفرادها الـ50 مواطناً. وتشهد هذه القرية، منذ السابع من تشرين الأول، اعتداءات متكرّرة يقودها المستوطنون، طاولت الأهالي وأطفالهم ومنازلهم وماشيتهم، كما شملت محاولة إحراق مدرسة القرية وبعض من المنازل، لكنّ يقظة الأهالي حالت دون ذلك. وفي ظلّ تصاعُد الاعتداءات، التي ترافقت مع تسليح المستوطنين من قِبَل وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، تعرّضت زنوتا لهجمات من عصابات «فتية التلال» بالحجارة، وصولاً إلى تهديد سكانها بالحرق والقتل، وإطلاق الرصاص عليهم من دون سابق إنذار، وهو ما تسبّب في حالة من الخوف والهلع لدى الأطفال والنساء، ودفع السكان الذين يعتمدون في معاشهم على رعي الأغنام والمواشي، إلى البحث عن أماكن آمنة لحماية أنفسهم، مدركين في الوقت عينه أن مواجهة مخطّط الاستيطان ليست مستحيلة. والجدير ذكره هنا، أن قرية زنوتا محاطة بالشارع الالتفافي الاستيطاني من جهتها الغربية، وتحاصرها من الجهة الشرقية المنطقة الصناعية الاستيطانية، وجدار الفصل من الجهة الجنوبية، ومن الجهة الشمالية للخربة الأثرية تطوّقها مستوطنات «ميتار وتيما وشمعة».

> ثمّة تقديرات ترجّح أن الضفة الغربية مقبلة على مواجهة ساخنة وحاسمة عقب انتهاء العدوان على غزة

أمّا الحادثة الثانية، فوقعت في قرية الساوية الصغيرة جنوب نابلس، حيث كان الشاب بلال صالح مع أفراد عائلته يقطفون الزيتون، شأنهم شأن آلاف العائلات في الضفة. لكنّ الشاب تعرّض لهجوم على أيدي عصابات المستوطنين الذين أطلقوا الرصاص بصورة مباشرة عليه، وأردوه. كذلك، شنّ مستوطنون، السبت، عشرات الهجمات على المزارعين في أرجاء الضفة، واعتدوا عليهم بالعصيّ والحجارة، وهدّدوهم بإطلاق النار عليهم، تحت حماية جيش الاحتلال، واقتلعوا أشجار زيتون في مناطق متفرّقة.

ويتزامن تصعيد المستوطنين، مع آخر مماثل يقوده جيش الاحتلال في الضفة، وبات يتكرّر بشكل يومي، ويسفر عن شهداء وأسرى وتدمير واستباحة المدن والقرى. وفي هذا السياق، شهدت غالبية مدن الضفة، فجر أمس، اقتحامات واسعة، تخلّلتها مواجهات عنيفة أسفرت عن استشهاد خمسة شبان. وتصدّر مشهد تلك الاقتحامات، مخيم عسكر، الذي شهد اشتباكات هي الأعنف من نوعها، تمكّن خلالها المقاومون من تفجير عشرات العبوات الناسفة المحلية الصنع، في محاولة لعرقلة هدم منزل الشهيد حسن قطناني - منفّذ عملية الأغوار التي قتل فيها ثلاث مستوطِنات -، قبل أن تفجّره قوات الاحتلال. وكانت مواجهات قد اندلعت، ليل السبت - الأحد، بين شبان فلسطينيين وقوات الاحتلال في مخيم بلاطة، ما أسفر عن استشهاد شاب من المخيم، واحد قادة «كتيبة نابلس»، وإصابة 8 فلسطينيين بالرصاص الحي، جروح أحدهم خطيرة. كذلك، اقتحمت قوات الاحتلال أحياء عدة في جنين، حيث دوّت صفارات الإنذار، واندلعت اشتباكات عنيفة بين مقاومين وقوات خاصة ودوريات عسكرية إسرائيلية اقتحمت المدينة، وأسفرت عن إصابة أربعة فلسطينيين برصاص الاحتلال. وقالت «كتيبة جنين»، على إثر ذلك، إنها خاضت مواجهات مع قوات الاحتلال في حيّ المراح في المدينة، وإنها استهدفت بشكل مباشر عدداً من الآليات المقتحمة لبلدة سيلة الحارثية غرب جنين، كما تمكّنت من إسقاط طائرة مُسيّرة خلال الاشتباكات. وفي رام الله، أعلن «الهلال الأحمر الفلسطيني» استشهاد شاب من بلدة بيت ريما، وإصابة 10 آخرين برصاص قوات الاحتلال، عقب اقتحام الأخيرة البلدة الواقعة شمال المدينة، حيث اندلعت مواجهات مع المواطنين، فيما منعت القوات الإسرائيلية سيارات الإسعاف من نقل المصابين إلى مستشفيات رام الله. أيضاً، شهدت مدن بيت لحم، وطولكرم، وطوباس، اقتحامات مشابهة ومواجهات مع الشبان والمقاومين في أكثر من نقطة ومحور.

وإزاء هذا المشهد الذي تحاول إسرائيل تثبيته بإطلاق يد جيشها ومستوطنيها، تواصل الضفة الغربية الحفاظ على حالة الاشتباك الذي بدأته منذ قرابة عامين، ليمتدّ من نشاط خلايا المقاومة إلى الفعل الجماهيري الميداني، حيث تتوالى المسيرات والتظاهرات الكبيرة ليلاً ونهاراً إسناداً لغزة. ومنذ قطع الاتصالات والإنترنت عن القطاع بالتزامن مع حملة قصف عنيفة وشرسة، والبدء في «المناورات» البرية، تحوّلت مراكز المدن إلى اعتصام مفتوح، بعدما قرّر عشرات الشبان البقاء فيها وعدم مغادرتها، إلى جانب تنظيم مسيرات إلى نقاط التماس والحواجز العسكرية. وإذا كان كل هذا الفعل لا يرتقي، بحسب مراقبين، إلى الدرجة المطلوبة من الاشتباك، إلا أنّ ثمّة تقديرات ترجّح أن الضفة مقبلة على مواجهة ساخنة وحاسمة عقب انتهاء العدوان على غزة.

تتوالى المسيرات والتظاهرات الكبرى ليلاً ونهاراً في الضفة الغربية إسناداً لغزة (أ ف ب)

توعّدٌ بالردّ على «تلكّؤ» الحكومة

الصدر يصعّد حملة طرد الأميركيين

بغداد ـ فقار فاضل

انقسمت القوى السياسية العراقية حول دعوة زعيم «التيار الصدري»، مقتدى الصدر، الحكومة والبرلمان إلى التصويت على غلق السفارة الأميركية في بغداد، وطرد السفيرة الينا رومانوسكي. وإذ تميل قوى وازنة داخل الحكومة و«الإطار التنسيقي» الذي يدعمها، إلى عدم اتخاذ خطوة من هذا النوع، والتركيز بدلاً من ذلك على التعامل مع مسألة الوجود العسكري الأميركي في البلاد، فقد توقّع مقربون من التيار أن ينطلق الأخير إلى خطوات إضافية كأن الصدر قد لوّح بها إذا رُفض طلب غلق السفارة، ولم يكشف عنها. وطالب الصدر، يوم الجمعة الماضي، الحكومة الاتحادية والبرلمان بالتصويت على قرار يقضي غلق سفارة الولايات المتحدة في بغداد، اعتراضاً على دعمها اللامحدود لإسرائيل، ونصرة للشعب الفلسطيني، مؤكداً أنه سيكون له موقف آخر يعلنه لاحقاً، إن لم تتم الاستجابة لدعوته. وبعد ذلك، أعلن عضو مجلس النواب العراقي، برهان المعموري، أنه سيشرع في حملة لجمع التواقيع من أجل طرح الأمر على التصويت تحت قبّة البرلمان.

وفي هذا الصدد، يقول مصدر حكومي عراقي، لـ«الأخبار»، إن «قطع العلاقات مع أميركا سيضر العراق اقتصادياً، ولن يخدم القضية الفلسطينية»، مضيفاً أن «الحكومة عليها التزامات دولية، والبعثات الدبلوماسية محمية بموجب قوانين ومعاهدات». ويشير إلى أن «قرار غلق السفارة الأميركية لا يمكن البتّ فيه بسهولة»، معتبراً أن «الحكومة يمكن أن تتّخذ قرارات حول مصير التواجد العسكري الأجنبي، بعيداً عن إغلاق البعثات الدبلوماسية، ولا سيما الأميركية».

وفي الاتجاه نفسه، يلفت المتحدث باسم كتلة «الصادقون» النيابية، الجناح السياسي لـ«حركة عصائب أهل الحق»، محمد البلداوي، إلى أن «الحكومة اتخذت إجراءات، وأوضحت موقفها من القضية الفلسطينية»، معتبراً أن «إغلاق السفارات يُدخل العراق في عزلة عن العالم». ويعرب البلداوي، في حديث إلى «الأخبار»، عن اعتقاده بأن «ما تقوم به السفيرة الأميركية والقوى الإمبريالية من مواقف مخزية تجاه الشعب الفلسطيني ودعم الصهاينة، يجب أن تقابله إجراءات تبدأ بمراجعة العلاقات مع هذه الدول، ثمّ التعامل معها اقتصادياً وصولاً إلى ما يمكن أن نعبّر به عن الموقف العراقي». ويرى أنه «من غير المنطقي أن تخرج الحكومة أو تُدخل أبناء الشعب العراقي إلى هكذا قضايا تربك الوضع الداخلي، وأن جميع فصائل المقاومة ملتزمة بتوجيهات الحكومة العراقية تجاه السفارات والبعثات، ولنا مواقف بهذا الشأن بما لا يمكن المزايدة عليه». ووفقاً للبلداوي فإن «هذه الدعوات تُزعزع الجبهة الداخلية للحكومة العراقية وتضعها في موقف ضعيف، لكن يجب أن نذهب إلى اتجاه توحيد هذه الجهود، واستخدام الوسائل الدبلوماسية والرسائل في اتجاه القوات العسكرية الموجودة، لا في اتجاه السفارات أو القنصليات والبعثات الدبلوماسية».

وفي المقابل، يؤيد النائب المستقل في البرلمان، عامر عبد الجبار، دعوة الصدر، ويقول «إننا طالبنا بمغادرة السفيرة الأميركية، وجمعنا تواقيع لهذه الغاية، لكن بسبب غياب البرلمان في الأسبوع الماضي وعدم وجود جلسات، كان عدد التواقيع فقط خمسة». ويتابع، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «بعض النواب كان يقول إن غلق السفارة محرج للحكومة، ومحرج بالنسبة إلينا، لكن نحن كمستقلين نؤيد دعوة الصدر وسنطالب بجلسة استثنائية لهذا الموضوع». ويعتقد «أن الحكومة لا تستطيع أن تتّخذ مثل هذا القرار»، مضيفاً أن «الإطار التنسيقي هو الذي يسيطر على البرلمان، لكن ضغطه في اتجاه مثل هذا القرار سيكون ضعيفاً».

ويعتبر الناشط السياسي، صفاء البغدادي، المقرّب من«التيار الصدري»، بدوره، أن «هناك عدداً من الرسائل لطلب الصدر من الحكومة والبرلمان التصويت على غلق السفارة الأميركية في العراق، ومنها معرفة من الذي يدافع عن المصالح العامة ويرفض الاحتلال الأميركي المساند لإسرائيل في قتل الأبرياء في فلسطين». ويضيف، في تصريح إلى وكالة «شفق نيوز»، أنه «في حال لم تستجب الحكومة والبرلمان لطلب غلق السفارة، فإن للصدر كلاماً آخر سوف يأتي في حينه، وربما قد يكون مماثلاً لمواقف سابقة تعامل بها مع الحكومات».

انقسام عراقي حول دعوة الصدر لغلق السفارة الأميركية (أ ف ب)

المقاومة لا تريح الأميركيين: إشغال مستمرّ... حتى وقف العدوان

الحسكة ـ أيهم مرعي

حذّرت مجلة «تايم» من «حرب واسعة» بين أميركا وإيران. لـ«الحرس الثوري» في البوكمال (أ ف ب)

وصلت فصائل المقاومة هجماتها على القواعد الأميركية في سوريا، رغم محاولات الولايات المتحدة ردعها عن ذلك، عبر تنفيذ غارتَين على مواقع للقوات الرديفة والحليفة للجيش السوري في البادية الفاصلة بين القورية والميادين في ريف دير الزور الخاضع لسيطرة الحكومة السورية. وأعطت الاعتداءات الأميركية الأخيرة، والتي نُفّذت يوم الجمعة الماضي، مفعولاً عكسياً، إذ كثّفت فصائل المقاومة من وتيرة هجماتها في أعقابها، مستهدفةً القواعد الأميركية ست مرّات في يومَين، في ما يمثّل أكثر من نصف عدد المرّات التي استهدفت فيها تلك القواعد منذ بدء موجة الهجمات الجديدة منتصف الشهر الجاري.

وهاجمت الفصائل، بين الجمعة والأحد، القاعدة الأميركية في حقل العمر النفطي مرتَين، كما استهدفت قواعد الشدادي مرتَين ومطار خراب الجير والتنف في شرق البلاد وجنوبها. وأتت هذه الهجمات، رغم إعلان الجانب الأميركي اتخاذ مزيد من الإجراءات الدفاعية، ونصب صواريخ مخصّصة لاعتراض الأهداف ذات الارتفاع المنخفض، كصواريخ «أفينجر» ومنظومة «ثاد» للدفاع الجوي، بالإضافة إلى تعزيز عدد الجنود الأميركيين في سوريا بـ100 جندي إضافي، وفقاً لبعض المعلومات. كما سيّر الأميركيون دوريات مراقبة على الأرض في أرياف دير الزور، في محاولة لرصد أيّ منصّات إطلاق صواريخ أو قواعد لإطلاق الطائرات المسيّرة. كذلك، ارتفع عدد الشاحنات التي أدخلها «التحالف الدولي» من شمال العراق إلى سوريا، منذ بدء الهجمات على القواعد الأميركية في الـ16 من الشهر الجاري، إلى نحو 90 شاحنة، حملت المزيد من الأسلحة والمعدّات الخاصة بالدفاع، في محاولة من الأميركيين لتشكيل غلاف جوي يمنع أيّ هجمات على قواعدهم في كلّ من سوريا والعراق. لكن مصادر ميدانية تؤكد، لـ«الأخبار»، أن «المقاومة تمكّنت حتى الآن من استهداف القواعد الأميركية في شرق سوريا وجنوبها 15 مرّة، في 10 أيام، وهو ما يقترب من معادلة عدد الهجمات التي حدثت منذ أول هجوم على تلك القواعد قبل عامين ونيف». وتلفت المصادر إلى أن «هذه الهجمات سبّبت رعباً كبيراً للجنود الأميركيين، الذين توفّي أحدهم إثر جلطة مفاجئة في الهجوم على إحدى القواعد في العراق، ما يؤكد تحقيق العمليات لأهدافها العسكرية، وكسرها معنويات جنود الاحتلال». وتضيف أن «صفوف الاحتلال تشهد حالة إرباك غير مسبوقة، وسط إثبات المقاومة كفاءة عالية في اختراقها أنظمة الدفاع كافة التي نصبت لحماية القواعد الأميركية غير الشرعية على الأراضي السورية»، جازمةً أن «الهجمات مستمرّة رغم كلّ ما اتّخذه وسيتّخذه الأميركيون من إجراءات على الأرض». وتشير إلى أن «الرسالة واضحة، وهي رسالة انتقامية من دعم الاحتلال الأميركي المتواصل لعدوان الكيان الصهيوني على قطاع غزة»، متابعةً أن «زخم الهجمات سيرتفع للتأكيد على جدّية المقاومة في تحقيق هدفها الآني، وهو الضغط لوقف الحرب على غزة، والمستقبلي، وهو إرغام قوات الاحتلال الأميركي على الخروج من الأراضي السورية التي دخل إليها بصورة غير شرعية، ومن دون موافقة الحكومة الشرعية».

> هاجم «جيش القبائل والعشائر» مناطق «قسد» في ريفي دير الزور الشرقي والغربي

من جهتها، حذّرت مجلة «تايم» الأميركية من «حرب واسعة» بين الولايات المتحدة وإيران، في أعقاب إعلان واشنطن قصفها منشأتَين لـ«الحرس الثوري» الإيراني في البوكمال، شرق سوريا، الأسبوع الماضي. وقالت المجلة، في تقرير، إن «القوات العسكرية الأميركية في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط في حالة تأهب قصوى، تحسباً لهجمات إضافية من الميليشيات الموالية لإيران، بعد تعرّض قاعدتين في سوريا لهجمات متكرّرة»، مضيفةً أن «الرئيس جو بايدن يأمل في إقناع طهران بإنهاء الصراع، قبل أن تذهب الأمور بعيداً جداً»، مستدركةً بأن «بعض المراقبين لديهم خشية من أن قادة إيران ليست لهم مصلحة في التراجع».

وبالتوازي مع تصعيد المقاومة ضد الأميركيين، شنّ «جيش القبائل والعشائر» العربية، هجوماً واسعاً ومنظّماً على مناطق سيطرة «قوات سوريا الديموقراطية» (قسد) في ريفي دير الزور الشرقي والغربي، تأكيداً للتمسّك بمطلب إخراج «قسد» من كامل جغرافيا دير الزور، وسعياً إلى مواصلة الضغط على «التحالف الدولي» للالتفات إلى هذه المطالب. وهاجم أبناء العشائر، على نحو متزامن، مواقع لـ«قسد» في كلّ من ذيبان وحوايج ذيبان وأبو حردوب والجرذي والكشكية في ريف دير الزور الشرقي، وبلدة الكبر في الريف الغربي، وتمكّنوا من السيطرة على غالبية بلدة أبو حردوب، بالإضافة إلى حي اللطوة في ذيبان، مع أسر عدد من عناصر «قسد»، وإسقاط طائرة مسيرّة لها. في المقابل، قُتل خمسة مدنيين وأصيب آخرون في سقوط قذائف اتّهمت العشائر «قسد» بإطلاقها بعد انسحاب مقاتليها من البلدة، وهو ما نفته الأخيرة عبر إعلامها، متّهمةً الجيش السوري بتنفيذ الهجمات، ومعلنةً ردّ قواتها على مصادر النيران، ما أدى إلى مقتل مدني وإصابة أربعة آخرين في مدينة الميادين.

ووفقاً لمصادر عشائرية تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن «مقاتلي العشائر انسحبوا من المناطق التي سيطروا عليها في الريف الشرقي، بعد تحقيق الهجمات لأهدافها». وتوضح المصادر أن «الهجمات بدأت تركّز على إلحاق أكبر خسائر ممكنة بقسد والانسحاب للحفاظ على حياة العناصر»، معتبرة أن «تثبيت السيطرة على الأرض شبه مستحيل، وسط عدم توازن القوة بين الطرفين، والدعم الأميركي المتواصل لقسد في المنطقة». والظاهر أن مقاتلي العشائر يريدون من وراء هذه الهجمات استمالة عناصر «قسد» من أبناء المكوّن العربي، وحملهم على الانشقاق عنها، والانضمام إلى «جيش القبائل والعشائر»، بالإضافة إلى منع «الإدارة الذاتية» من الاستفادة من الموارد الاقتصادية، عبر تكرار الاستهداف لخطوط النفط والغاز، بما يتيح أيضاً كسب التعاطف الشعبي إلى صفّ العشائر.

طوفان الأقصى

مقابلة | أجرتها لينا كنوش

ستيفن والت

أستاذ العلاقات الدولية في كلية «جون كنيدي للحكم» في جامعة «هارفرد»

إدارة بايدن تخشى من تحوّل النزاع إلى «كارثة للجميع»
عدم الالتزام بالأولويات مشكلة مزمنة للإدارات الأميركية
النفوذ الروسي والنفوذ الصيني سيتّسعان بفضل هذه الحرب

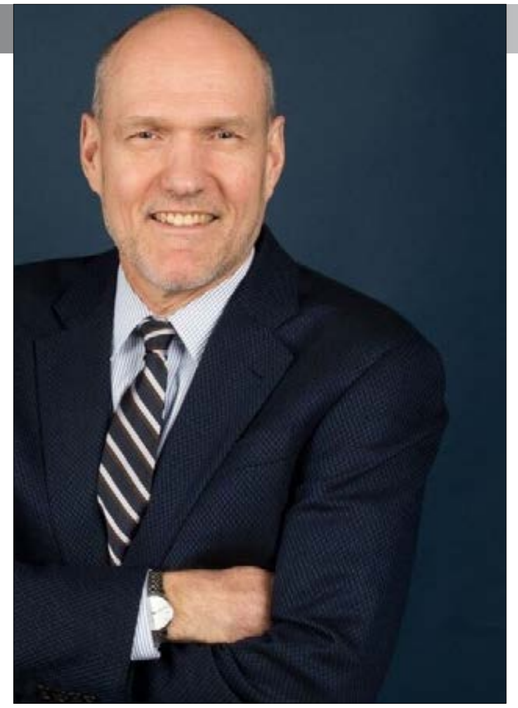

ستيفن والت هو أحد أبرز الأقطاب الفكريين لـ«المدرسة الواقعية» في السياسة الخارجية الأميركية، التي ألهمت لعقود طويلة صنّاع القرار في واشنطن، سواء أكانوا ديمقراطيين أم جمهوريين، وانتسب إليها بعض الذين ساهموا في مثل هذه الصناعة، من مثل هنري كيسنجر أو زبغنيو بريجنسكي. لم تمنع المكانة الأكاديمية التي يتمتّع بها والت، ولا صلاته الواسعة مع المسؤولين والسياسيين الأميركيين، بمن فيهم بعض أعضاء الإدارة الحالية، والذين كان جزء منهم بين طلبته خلال دراستهم الجامعية، من معارضة سياسة الانحياز المطلق المعتمدة من قبل الإدارات الأميركية المتعاقبة حيال إسرائيل، خاصة بعد انطلاق ما سُمي بـ«الحرب على الإرهاب» التي تمّ في سياقها غزو العراق عام 2003. وهو خصّص لهذا الموضوع كتاباً هاماً صدر عام 2007، ألّفه مع زميله الذي ينتمي أيضاً إلى «المدرسة الواقعية»، جون ميرشايمر، بعنوان «اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية». وأثار الكتاب المذكور جدلاً واسعاً في الولايات المتحدة وفي بقية العالم، ورأى فيه والت أن الهدف الأول للحرب على العراق كان خدمة المصالح الإسرائيلية، قبل أي اعتبار آخر، وأن تداعياتها أضرّت بمصالح الولايات المتحدة الإستراتيجية في الشرق الأوسط. للمُحاور عددٌ كبير من المؤلّفات النظرية حول العلاقات الدولية وهو كاتب افتتاحية في دورية «فورين بوليسي».

■ هل الإدارة الأميركية مستعدّة للانجرار نحو حرب جديدة في الشرق الأوسط؟ وماذا عن الأولويات الإستراتيجية لهذه الإدارة، أي مواجهة الصين وروسيا؟ وهل إذا تورّطت في نزاع الشرق الأوسط، ستستطيع التفرّغ للأولويات المذكورة؟

لا أعتقد ذلك. أظن أن الإدارة تأمل بشدة حصر الحرب في غزة لأنها تعلم أن اتّساعها سيكون كارثة بالنسبة إلى الجميع. يكشف الوضع الراهن مشكلة مزمنة في السياسة الخارجية الأميركية، وهي عدم القدرة على تحديد الأولويات والالتزام بها. الاستمرار في السعي لصياغة الوقائع السياسية المحلية في أماكن متعدّدة من العالم سيقود بالضرورة إلى التورّط في النزاعات المحلية، حتى عندما لا تكون المصالح الأميركية مهدّدة بشكل مباشر، ولا تتوفّر رؤية حول كيفية حلّ هذه النزاعات.

■ ألّفتم كتاباً معروفاً مع جون ميرشايمر عن اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية. الأمور أكثر وضوحاً اليوم ممّا كانت عليه خلال الحرب على العراق، وإذا اندلعت مجابهة، ستكون رسمياً لأجل إسرائيل. هل ستساند النخب الأميركية، وكذلك الرأي العام، مثل هذا الخيار؟

ستكون النخب الأميركية مؤيّدة بقوة لمثل هذا الخيار نتيجة للنفوذ المستمر للّوبي الإسرائيلي. هناك أيضاً النفور القابل للفهم حيال ما فعلته «حماس»، على الرغم من أن الرأي العام سينقلب ضد إسرائيل إذا استمرت في قتل أعداد كبيرة من المدنيين الفلسطينيين. لكنّ السؤال الفعلي هو حول ما سيحدث مع إطالة أمد النزاع في حال تدخّلت الولايات المتحدة فيه؟ فإذا كانت كلفته مرتفعة، وامتدّت زمنياً، من دون مالات إيجابية، فسيتغير موقف الرأي العام بسرعة.

■ هل الإدارة الأميركية موحّدة بالنسبة إلى كيفية التعامل مع المعركة الحالية؟ وإذا ما كان هناك جدال في داخلها، ما هي محاوره؟

الرئيس جو بايدن ووزير الخارجية أنتوني بلينكن كانا دوماً من المؤيّدين بقوة لإسرائيل، واعتقد أن هذا العامل حكم موقفهما مع اندلاع المعركة. تضاف إلى ذلك حساسيتهما المفرطة تجاه الضغوط الداخلية لدعم إسرائيل إلى أقصى درجة. تبدو الإدارة موحّدة ظاهرياً على الرغم من الخلافات الجدية في داخل وزارة الخارجية واعتراضات النواب التقدميين في الكونغرس. أعتقد أن عدداً من مستشاري بايدن باتوا قلقين من أن موقفه من الحرب ينفّر ناخبين عرباً - أميركيين وتقدميين، يحتاج بشكل ماس إلى أصواتهم في الانتخابات القادمة. أنا مقتنع كذلك بأنهم يدركون أن تأييد رد إسرائيل الوحشي يغضب الكثير من الناس عبر العالم، ويوفّر فرصاً لبلدان كروسيا والصين لزيادة نفوذهما على حساب ذلك الأميركي. هم يحاولون الآن الحد من جموح إسرائيل من دون نجاح كبير حتى اللحظة.

■ النفوذ الأميركي ينحسر في الشرق الأوسط بينما يتزايد ذلك الصيني. ألن تؤدي مفاعيل الحرب إلى تعاظم الانحسار؟

على المدى القصير، ستفضي هذه المفاعيل إلى تقويض النفوذ الأميركي لأن واشنطن ستُعتبر مساندة لمعاملة إسرائيل الوحشية للفلسطينيين. يذكّر هذا الواقع الجميع بأن الولايات المتحدة تعاملت بطريقة سيئة مع المنطقة على مدى 30 عاماً، وهذا يحدّ من الثقة بالكفاءة الأميركية. خلاصة القول هي أن الجولة الأخيرة من القتال ليست خبراً جيداً بالنسبة إلى واشنطن.

إردوغان يرفع السقف... كلامياً: متأهّبون من أجل غزة

محمد نور الدين

نظّم «حزب العدالة والتنمية» مهرجاناً ضخماً في مدينة إسطنبول، دعماً لفلسطين، شارك فيه مئات الآلاف من الذين توافدوا إلى باحة «مطار أتاتورك» المتوقّف عن العمل منذ عام 2019، وحضره زعماء «تحالف الجمهور» الحاكم، ولا سيما زعماء كلٍّ من «حزب الحركة القومية» دولت باهتشلي، و«حزب الدعوة الحرّة» زكريا ياجبي أوغلو، و«حزب الوحدة الكبير» مصطفى دستيجي، فيما لوحظ غياب زعيم «حزب الرفاه من جديد» فاتح نجم الدين أربكان، الذي اعتذر مسبقاً عن عدم الحضور، على خلفية استيائه من وقوف الحكومة «مكتوفة اليدين» تجاه المجازر التي ترتكب في غزة منذ اليوم الأول للعدوان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى زعماء المعارضة، الذين لم يُدعَ أحد منهم أساساً للمشاركة في التجمّع. أيضاً، حضر المهرجان رئيس جمهورية شمال قبرص التركية أرسين تتار، فيما لوحظت مشاركة رئيس البرلمان الإماراتي، صقر غباش، الذي كان في زيارة لتركيا.

وأمام مئات الآلاف الذين لوّحوا بالأعلام التركية والفلسطينية، خاطب إردوغان الحشد، قائلاً: «أنا أعلن اليوم إسرائيل مجرمة حرب، وساشهّر بها في كلّ العالم»، بعدما استهلّ كلمته بالتذكير بأن غزة، كما فلسطين، كانت عثمانية، و«ليس من فارق بين غزة وأضنة. وإن غزة قدّمت وحدها 53 شهيداً في معارك تشانق قلعة (الدردنيل) في الحرب العالمية الأولى». ولفت إردوغان في سياق خطابه، الذي استمرّ ساعة، إلى أنه عندما قال إن «حماس» ليست منظمة إرهابية «انزعجت إسرائيل جدّاً. نحن لا نلعن فقط من يرتكب المجازر في غزة، بل بذلك ندافع عن استقلالنا ومستقبلنا. وهو ما كان يفعله السلطان عبد الحميد». وتابع: «إنّكِ (إسرائيل) بلد محتلّ، وإنّك منظّمة... إننا من أجل غزة، نحن في تركيا في حالة تأهّب»، مكرّراً عبارتَه الشهيرة التي كان يتوعّد بها الأكراد في سوريا والعراق، وهي: «فجأةً ذات ليلة يمكن أن ندخل»، في ما فسّر باعتباره تحذيراً لإسرائيل، وتناولته الصحف في مانشيتاتها الرئيسة، إلى جانب عبارة: «نحن في تأهّب من أجل غزة». وفي الموازاة، شنّ إردوغان حملةً عنيفة على الغرب الذي قال إنه «ذرف دموع التماسيح على القتلى في أوكرانيا، ولم يفتح فمه أمام مجازر قتل المدنيين في غزة»، متسائلاً عمّا إذا كان الغرب يريد بذلك أن «يحفر عميقاً من أجل حرب دينية بين المسيحيين والمسلمين؟»، لافتاً إلى أن «المسؤول الأول والأكبر عمّا يجري في غزة، هو الغرب الأميركي والأوروبي... إن مجازر غزة هي ثمرة هذا الغرب». وأضاف إردوغان: «لكلّ يعرف أن إسرائيل ليست سوى بيدق بيد الغرب. ولكن مؤامرات الغرب وفتنه لن تستمرّ إلى ما لا نهاية (...) الغرب ومعه إسرائيل هم وراء الإرهابيين في سوريا، مثل حزب العمال الكردستاني، ووراء جماعة فتح الله غولن». وبحسب الرئيس التركي، فإن «ذهنية الإبادة في غرف الغاز والقنابل النووية هي نفسها التي ترتكب المجازر في غزة... إنّك يا إسرائيل محكومة بالعزلة، وستبقين كذلك. وستدفعين ثمن المجازر باهظاً عاجلاً أو آجلاً».

ولوحظ أن إردوغان لم يشر إلّا نادراً إلى حركة «حماس» بالاسم، بقوله إنها «منظمة غير إرهابية»، ولكنه لم يكرّر وصفه لها على أنها «حركة تحرّر». وفي ظلّ توقعات عالية بإجراءات معينة وملموسة من جانب إردوغان تجاه إسرائيل أو الغرب تتعلّق بالعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية، أو بالقواعد الأميركية في تركيا، فإنه أنهى كلمته من دون أيّ إشارة إلى ما سبق، ما قد يكون أدّى إلى إحباط في الشارع التركي المؤيّد بغالبيته للفلسطينيين. وعلى الرغم من اللهجة التصعيدية للرئيس التركي ضدّ إسرائيل، إلّا أنه لم يحرق المراكب معها، بل دعاها إلى «الإصغاء للنداءات، وعمل الخير ولو لمرّة واحدة، ومساعدة المظلومين، وفتح أبواب الحوار من أجل إقامة السلام». من جهته، سارع رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنامين نتنياهو، إلى الردّ على إردوغان من دون أن يسمّيه، واصفاً كلامه بأنه «إزدواجية»، مضيفاً: «لا تتّهمونا بأنّنا نرتكب جريمة حرب. هذه إزدواجية. نحن الجيش الأكثر التزاماً بقواعد الأخلاق في العالم». وأعلن وزير الخارجية الإسرائيلي، إيلي كوهين، بدوره، أن توجيهات صدرت باستدعاء كل الدبلوماسيين الإسرائيليين الموجودين في تركيا، من أجل «إعادة تقييم العلاقات بين البلدين». وردّت الخارجية التركية على ذلك بالقول إن مواقف المسؤولين الإسرائيليين الذين يتهمون إردوغان وتركيا بـ«معادية السامية مردودة على مَن أطلقها، وهي مجرّد افتراءات وتحقير». وأضافت، في بيان، إن «تحريف حقائق استهداف الأطفال والمدنيين بمجازر جماعية لن يوصل إسرائيل إلى أي نتيجة»، وإن «اتهام رئيس الجمهورية إردوغان بأنه معادٍ لليهودية والسامية هو مظهر من مظاهر عجز وفشل بعض المسؤولين الذين لا يتحمّلون النقد وإظهار الوقائع». وبحسب البيان، فإنه «بخلاف دول كثيرة تقدّم الدعم اليوم لإسرائيل من دون أيّ شرط، فإن سجلّ تركيا ناصع البياض. والجميع يعرف أن اليهود لم يجدوا ملجأ آمناً لهم من محاكم التفتيش في إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر سوى في تركيا. وهي حقيقة يسلّم بها كلّ المؤرخين». وأوضح مصدر في الخارجية التركية، أيضاً، أن استدعاء الدبلوماسيين الإسرائيليين من تركيا جرى أصلاً في الـ 19 من تشرين الأول الجاري، ولأسباب أمنية، وأنهم غادروا البلاد منذ ذلك الحين.

كذلك، عمّت التظاهرات تركيا، وإحداها خرجت في طرابزون، حيث دعت إليها منظّمات يسارية، وطالب الخطباء فيها السلطات، إذا كانت صادقة في مواقفها، بإلغاء الاتفاقات العسكرية مع إسرائيل، وإغلاق القواعد الأميركية في «إينجيرلك» و«كوريجيك»، وإلّا فإنه لا يمكن القول إنها تدعم المقاومة في غزة.

> شنّ إردوغان حملةً عنيفة على الغرب الذي قال إنه «ذرف دموع التماسيح على القتلى في أوكرانيا، ولم يفتح فمه أمام مجازر في غزة»

على الرغم من اللهجة التصعيدية للرئيس التركي ضدّ إسرائيل، إلّا أنه لم يحرق المراكب معها

بوادر حلحلة في «رفح»: واشنطن تَلين للقاهرة

القاهرة - الأخبار

وسط استعدادها لاستقبال وفد رسمي من حركة «حماس» في الأيام المقبلة، في زيارة هي الأولى من نوعها منذ بدء عملية «طوفان الأقصى»، تواصل مصر جهودها من أجل تسريع وتيرة عبور المساعدات إلى قطاع غزة، لتسدّ بعضاً من الاحتياجات الإنسانية هناك. ويأتي ذلك بعدما حصلت القاهرة على موافقة أميركية على تسهيل إدخال المساعدات الطبية العاجلة خلال الأيام القليلة المقبلة، وضمانات بأن تقلّص إسرائيل من إجراءات تفتيش الشاحنات قبل تسليمها لـ«الأونروا»، فيما حُكي عن إبداء المصريين رفضهم وجود «مفتّشين» إسرائيليين على جانبهم من معبر رفح.

وفي هذا الإطار، أفادت مصادر مصرية، «الأخبار»، بأن ثمّة مباحثات جارية بين الجانبَين، حول تثبيت كاميرات مراقبة في مناطق تعبئة الشاحنات، إلى جانب حضور مراقبين أميركيين تحت غطاء «منظّمات الإغاثة». وأضافت المصادر أن هناك خططاً مصرية يُعمل عليها من أجل التعامل مع الوضع الإنساني المتأزّم، ولا سيما المتّصل بمجال الرعاية الصحية، مبيّنةً أن القاهرة تتطلّع إلى إقامة مستشفيات ميدانية، وإدخال أطباء ومستلزمات طبية إلى منطقة آمنة يجري الاتفاق على حدودها، فضلاً عن تسهيل عمليات خروج الجرحى والمصابين الذين يحتاجون إلى العلاج خارج القطاع، وتزويد «الهلال الأحمر الفلسطيني» بسيارات إسعاف حديثة، بدلاً من السيارات التي تعرّضت للتدمير خلال العدوان المتواصل على غزة.

وعلى رغم عودة التنسيق الأمني بين مصر وإسرائيل على الشريط الحدودي، تستمرّ حالة اللايقين، خصوصاً مع الإخفاق المتكرّر في التوصّل إلى تهدئة، لا تزال القاهرة والدوحة تحاولان إرساءها. وعلى خلفية التأزّم المستمرّ هذا، أبلغت مصر، الولايات المتحدة، رسمياً، بأن العرقلة الإسرائيلية للتهدئة تعيق خروج الأجانب المحتجزين في غزة، وكذلك إفراج المقاومة عن «الرهائن المدنيين»، المهدّدة سلامتهم بسبب استمرار الحصار ومنع وصول الغذاء والمياه إلى مناطق واسعة في غزة، محذّرة من أن تشديد الخناق على القطاع سيؤدّي إلى توترات في الضفة الغربية، وربّما في مناطق أخرى، الأمر الذي ستكون له عواقب كارثية. وفي ضوء ما تقدّم، باتت واشنطن تضغط بشكل واضح من أجل إقرار تهدئة لساعات على الأقلّ، تتيح تشغيل المعبر بشكل «مؤقت واستثنائي» للسماح بخروج بعض الأجانب، والإفراج عن الأجانب المزدوجي الجنسية الموجودين لدى المقاومة.

في هذا الوقت، كثّف وزير الخارجية المصري، سامح شكري، اتصالاته غير المعلن عنها مع نظرائه الأوروبيين والخليجيين في شأن المساعدات التي يُفترض أن تُقدَّم للقطاع خلال الأسابيع المقبلة، والتي اقتصرت، إلى الآن، على الغذاء والمياه، طالباً التحرّك بشكل عاجل لمنع تفاقم الكارثة الإنسانية، ومؤكّداً أن مصر وحدها، وفي ظلّ الظروف الحالية، لا يمكنها تحمّل العبء الاقتصادي في غزة. وفيما تشهد العلاقات المصرية - السعودية توتّراً بلغ ذروته في الأيام الماضية، نتيجة ما تعتبره القاهرة تخاذلاً سعودياً في دعم القطاع، تحاول أجهزة في الدولة المصرية احتواء التوتّر، في ظلّ غضب سعودي بدأ يَظهر من الدور القطري المتزايد، فضلاً عن استمرار التنسيق بين القاهرة والدوحة، من دون الرجوع إلى الرياض في بعض التفاصيل التي يراها ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، جوهرية.

حصلت القاهرة على «ضمانات» أميركية بأن تفتّش إسرائيل إجراءات تفتيش الشاحنات (أ ف ب)

طوفان الأقصى

زمن التطبيع الاقتصادي: من يَذكر «مكتب مقاطعة إسرائيل»؟

زياد غصن

حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي، كان «مكتب مقاطعة إسرائيل»، التابع لـ«جامعة الدول العربية»، يثير «الرعب» في الأوساط الاقتصادية الإسرائيلية. فالمكتب كان مسؤولاً عن تنفيذ إجراءات مقاطعةٍ عربية صارمة في حقّ كلّ مَن يتعامل اقتصاديّاً مع الكيان الصهيوني، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهو ما تسبّب، على مدى عقود، في إلحاق خسائر كبيرة بالاقتصاد الإسرائيلي، تتباين التقديرات حول حجمها وقيمتها، علماً أنها تتجاوز، وفقاً للأرقام الإسرائيلية الرسمية المتداولة، الـ90 مليار دولار، منذ عام 1952، تاريخ إنشاء الجامعة للمكتب المسؤول عن المقاطعة. لكن مع توقيع «منظمة التحرير الفلسطينية» والأردن، على اتفاقيتَي سلام مع العدو، عامَي 1993و1994، وما تبعهما من تخفّف عربي تدريجي من حالة «التزمّت» في تطبيق إجراءات المقاطعة، أخذ المكتب، وتحديداً في العقد الأخير، يتحوّل تدريجيّاً إلى الشكل المعتاد للمؤسّسات السياسية والاقتصادية العربية، التي يجتمع فيها ممثّلو الدول العربية، ويتّفقون على مشروعات وبيانات وإعلانات نوايا، إلّا أنها تبقى بلا تنفيذ، أو رهناً بموقف حكومة كل دولة.

كان «مكتب مقاطعة إسرائيل»، التابع للجامعة العربية يثير «الرعب» في الأوساط الاقتصادية الإسرائيلية (من الويب)

مقاطعة مع وقف التنفيذ

أمام هَول عملية الإبادة الجماعية التي تنفّذها إسرائيل، اليوم، في حقّ أبناء الشعب الفلسطيني، وما تحظى به من دعم غربي لمجازرها، فإن جملة تساؤلات باتت تُطرح عن واقع المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل، ومستقبلها، وما إذا كان مكتب المقاطعة لا يزال قائماً ويعمل. في واقع الحال، فإن ما قطعه التطبيع الاقتصادي العربي مع الكيان الصهيوني من أشواط، بات يتجاوز بكثير آليات عمل مكتب المقاطعة ومهمّاته. فالمكتب الذي كان يَستهدف في عمله المؤسّسات والشركات والأفراد المتعاملين مع إسرائيل، يواجه حالياً شكلاً متقدّماً من التطبيع الاقتصادي مع العدو، إذ إن بعض الدول العربية باتت تقيم علاقات اقتصادية مباشرة وواسعة مع هذا الكيان، تحت عنوان اتفاقيات السلام التي وقّعتها، وأخرى لا تمانع التعاون مع شركات إسرائيلية، أو استقبال منتجاتها ورجال أعمالها، وإنْ لم تكن قد طبّعت مع تل أبيب بعد.

> غالبية الدول العربية تشارك في مؤتمر ضبّاط الاتصال للمكاتب الإقليمية لمقاطعة إسرائيل

وقلّة قليلة من الدول العربية لا تزال، من جهتها، ملتزمة بنسب متفاوتة في تنفيذ توصيات مكتب المقاطعة، وترفض إقامة علاقات اقتصادية مباشرة أو غير مباشرة مع تل أبيب. ومع ذلك، يقول مصدر خاص في «المكتب الإقليمي لمقاطعة إسرائيل» في دمشق، إن «غالبية الدول العربية تشارك في مؤتمر ضبّاط الاتصال للمكاتب الإقليمية لمقاطعة إسرائيل، الذي يُعقد بتنظيم من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (قطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلّة)... ولكن مدى التزام الدول المشاركة بما يُتوصّل إليه، أمر عائد إلى كل دولة». ويوضح، في حديث إلى «الأخبار»، أنه عادةً ما «يتضمّن مؤتمر مقاطعة إسرائيل في جدول أعماله عدداً من القضايا لاتّخاذ التوصيات اللازمة في شأنها، وفقاً لما تقتضيه مبادئ المقاطعة العربية المقرّرة وأحكامها: تطبيق الحظر وإدراج شركات في لائحة المقاطعة، وإنذار شركات أخرى ورفع ثالثة من لائحة الحظر لاستجابتها لأحكام المقاطعة. وبالتالي، فإن الدول المتفاعلة مع توصيات مؤتمر مقاطعة إسرائيل تعمد إلى منْع دخول أيّ مستوردات من شركات خاضعة لأحكام المقاطعة».

حقيقتان

بناءً على ما تقدَّم، يمكن استنتاج حقيقتَين في ما يتعلّق بواقع المقاطعة العربية الرسمية لإسرائيل تحت مظلّة «جامعة الدول العربية»: الأولى أن المكتب الرئيسي المعني بإصدار التوصيات اللازمة بإجراءات المقاطعة، لا يزال يحافظ على آلية عمله المعتادة، وذلك رغم ما طرأ من متغيّرات على طريق التطبيع الاقتصادي المباشر والعلني مع الكيان الإسرائيلي. ووفقاً للمصدر، فإن «التركيز عبر مؤتمر ضبّاط الاتصال هو على استمرار تفعيل مكاتب المقاطعة الإقليمية في الدول العربية، وتعزيز التنسيق والتبادل في ما بينها، وهذا يستدعي ضرورة تعزيز التواصل والمتابعة مع المكتب الرئيسي للمقاطعة في القاهرة، سواء في ما يتعلّق بتنفيذ القرارات والتوصيات، أو في إطار جهود ضبّاط الاتصال لمواكبة المستجدّات ذات الصلة بأحكام المقاطعة العربية»، علماً أن الأمانة العامة لـ«جامعة الدول العربية»، دعت، في أكثر من مناسبة، في السنوات السابقة، الحكومات العربية، إلى تفعيل العمل بأحكام المقاطعة، ولا سيما مع استمرار الاعتداءات الصهيونية على الأراضي الفلسطينية واللبنانية والسورية. كما شهدت بعض المُدّات حملات مقاطعة دولية، رداً على الجرائم الصهيونية، أبرزها تلك التي تمّت مع بداية العقد الثاني من القرن الحالي، وتسبّبت في خسائر كبيرة، كانخفاض الاستثمار الأجنبي المباشر، وتراجع الصادرات الصهيونية، وإلغاء عدد من الصفقات الاستثمارية، وغيرها. أمّا الحقيقة الثانية، فتتمثّل في تنفيذ توصيات ما يَتفق عليه ضبّاط الاتصال في مؤتمراتهم، والتي تبقى في عهدة السلطات المعنية في الدول العربية تبعاً لمواقفها السياسية من التعامل مع إسرائيل من جهة، وماهية علاقاتها الاقتصادية مع الدول الأجنبية من جهة ثانية. ويمكن تقييم مدى التزام الدول العربية، بمبادئ المقاطعة وحجم الخرق الحاصل فيها، عبر استعراض الحالات المعتمدة في إدراج الشركات والمؤسّسات ضمن لوائح مكتب المقاطعة، والتي يحدّدها مكتب دمشق بالبنود التالية: «إقامة الشركات والمؤسّسات الأجنبية مصنعاً فرعياً أو رئيساً لها في إسرائيل، أو مصنعاً للتجميع. ويشمل الحظر الشركات والمؤسّسات الأجنبية التي يقوم وكلاؤها بتجميع منتجاتها في إسرائيل، أو إذا كان لها وكلاء عامون أو مكاتب رئيسية للشرق الأوسط في إسرائيل، أو منحت امتياز حقّ استعمال اسمها إلى شركات إسرائيلية، أو أسهمت في شركات أو مصانع إسرائيلية، أو قدّمت المشورة أو الخبرة الفنية إلى المصانع الإسرائيلية، أو امتنعت عن الإجابة في مدة الإنذار على ما يُطلب منها من أسئلة تستهدف إيضاح وضعها وتحديد علاقتها مع إسرائيل، أو قامت ببناء أو بيع بواخر أو ناقلات إلى إسرائيل، أو شركات إسرائيلية أجنبية مشتركة، على أن يكون قد تم إنذارها، أو إذا كانت مملوكة كليّاً أو بنسبة 50% وأكثر إلى أشخاص من ذوي الميول الصهيونية، أو إذا ثبت قيامها ببيع منتجات أو مواد أولية من منشأ عربي إلى إسرائيل، أو إذا كانت وكيلة شركات أخرى حرّة التعامل معها، وهذه الأخيرة ينحصر نشاطها بعمليات الاستيراد والتصدير والاتجار في مختلف أنواع السلع التي تنتجها شركات أخرى محظور أو غير محظور التعامل معها، أو إذا باعت لإسرائيل مصنعاً يسهم في دعم اقتصادها أو مجهودها الحربي».

مقالة

السعودية تلتزم «الحياد»: خَراجها لنا... حيثما أمطرت!

عباس بوصفوان

اعتادت السعودية اتخاذ مقعد خلفي في الحروب بين فصائل المقاومة والاحتلال الإسرائيلي، لكن مقعدها الخلفي هذه المرة له أسباب إضافية، ويبدو مدفوعاً باعتقاد الرياض بقدرتها على الاستفادة من الجولة، مهما كان الاتجاه الذي ستنتهي إليه رياحها، أي سواء نجحت إسرائيل في تحقيق هدفها المتمثل في إطاحة «حماس»، أو انتصرت المقاومة المسلحة على الجيش الإسرائيلي الذي يتصرّف كثور هائج.

أولاً: الحديث مع الجميع

هذه أول حرب تقوم بعد عودة الودّ بين السعودية و«حماس»، حين قام وفد بقيادة إسماعيل هنية، في نيسان الماضي، بزيارة الرياض، في أعقاب «اتفاق بكين».

وربما، هذه هي المرة الأولى أيضاً منذ عقدين، التي تملك السعودية فيها علاقة حسنة مع الأطراف المقاومة التي تواجه واحدة من أخطر الحروب الأميركية ضد غزة ومقاومتها، على حدود الكيان وفيه. وتحتفظ المملكة حالياً بعلاقات إيجابية مع إيران والعراق وسوريا، ونسبياً مع «حماس» و«أنصار الله». وقد خفّف ذلك من تبادل النقد اللاذع بين المحورين السعودي والمقاوم.

هذا متغيّر جديد. وبإمكان المملكة راهناً الحديث مع المحور المقاوم ومع الأميركي، بينما كانت السعودية قد أمضت العقود الماضية في توتّر متذبذب مع إيران وشركائها. وحين اندلعت حرب غزة عام 2014، كان الخلاف السعودي - «الحمساوي» مستعراً، لأسباب «مبدئية» مضادة لـ«حماس» وتوجّهاتها، وليس فقط لتعاطف الأخيرة مع حكم «الإخوان المسلمين» في مصر، والذي رأته السعودية تهديداً. كما تزامنت حرب 2014 مع صراع فاحش الدموية، أميركي - إيراني، على أرض سوريا، اصطفّت فيه الرياض إلى جانب واشنطن.

ووصلت علاقات السعودية بإيران إلى أسوأ محطاتها، عام 2015، بسبب حرب اليمن. وفي 2017، اشتد الصراع مع تركيا وقطر.

ثانياً: بين غزة وأوكرانيا

لا تبني السعودية سياستها الخارجية على أولوية فلسطين، كما حال إيران، ولا على أولوية حماية الكيان، كما تفعل أميركا. ولا ترى الرياض الصراع في فلسطين حربها، وإنما تعدّه حرباً بين أميركا وإيران على الأراضي الفلسطينية، ولا تجد نفسها معنية بالاصطفاف مع أيٍّ منهما فيها. وعلى رغم أن كييف ليست القدس، وأوكرانيا ليست فلسطين، القضية العربية الأبرز، إلا أنه من الناحية الفعلية، ومع الفارق، تعتمد الرياض موقفاً من حرب غزة 2023، يمكن قياسه بالموقف الذي تبنّته من حرب أوكرانيا: تكرار الدعوة إلى وقف إطلاق النار، إيجاد حل سياسي، احترام القانون الدولي، البعد الإنساني منه خصوصاً، وغيرها من الأمور التي لا تثير غضب الأطراف الرئيسة.

في أوكرانيا، كان من شأن اندفاع السعودية نحو تأييد مطلق لأميركا أن يؤدي حتماً إلى كسر أسعار النفط، ويسدد ضربة للتمويل الضروري لتحويل المملكة إلى قوة اقتصادية. ثم إن هذا التأييد لا يضيف زيادة تذكر على العلاقات الوطيدة بين المؤسسات الغربية والدولة السعودية. في أوكرانيا، لا يغيّر انتصار المعسكر الغربي كثيراً في تموضع المملكة؛ فجلّ بيضها في الحضن الأميركي، في حين أن انتصار روسيا سيدفع أميركا إلى أن تكون أكثر حرصاً على العلاقة مع السعودية، مع أن القصة أعقد من ذلك، بالنظر إلى التداعيات الدولية الكبرى، التي لم تنضج بعد.

ثالثاً: «حماس» وإسرائيل سيّان

قد تبسط العبارة السابقة المشهد المحتدم أكثر من اللازم. لكن عموماً، من وجهة نظر الرياض، سيزيد نجاح «حماس» من نفوذ المحور الإيراني، وهذا سيشجّع واشنطن على الحرص على دفع ما يتوجّب من أثمان لضمان رفع علم الاحتلال في قلب الجزيرة العربية. أما نجاح إسرائيل في خنق «حماس»، فسيؤدي إلى إضعاف إيران، وهو هدف ثمين للسعودية. ثم إن وقوف المملكة ضد إسرائيل سيجلب غضب العم سام. وفي الوقت نفسه، وإذ لا تتوقّع منها مناصرة «حماس»، فإن وقوفها ضد فلسطين، أو مع إسرائيل، سيُسقط من يدها ورقة تفاوض في الوصول إلى اتفاقيات أمنية مع أميركا، فضلاً عن خساراتها على صعيد القوة الناعمة، من دون ثمن.

ستفعل الولايات المتحدة كلّ ما في وسعها لحماية طفلتها المدللة إسرائيل، ومدّها بالسند السياسي والعسكري لحرق الأخضر واليابس في غزة. ومن جهتها إيران، كما عوّدتنا، تستميت في الدفاع عن حلفائها، وقد منعت سقوط بشار الأسد في دمشق، و«أنصار الله» في اليمن، والتحالف الحاكم في بغداد، وتمدّ «حزب الله» بما يحتاج إليه من سند، وترى أنّ سقوطه خطّ أحمر. وهكذا، ستفعل طهران كل ما بيدها لمنع انهيار المنظومة «الحمساوية» في غزة، بما في ذلك تفعيل مقولة «وحدة الساحات»، والتي بموجبها تسقط الحمم من لبنان واليمن والعراق وسوريا على الحلف الأميركي.

رابعاً: انعدام المبادرة

الرياض ترى نفسها في موقع القادر على الحديث مع الأطراف ذات العلاقة. ومع ذلك، لم تقدّم مبادرة لحلحلة ملف الأسرى، مثلاً، بين الكيان و«حماس»، فيما كانت قد قامت بدور بين روسيا وأميركا، أدى إلى تبادل أسرى حرب روس وأوكران وغربيين في أيلول 2022. في الحالة الفلسطينية، انصبّت المبادرات السعودية الرئيسة تقليدياً حول «المصالحة العربية - الإسرائيلية»، من مبادرة الملك فهد في 1981، إلى «مبادرة السلام العربية» لعام 2002، والتي أُزيلت راهناً عن الطاولة. لكن الأدهى، ما نقرأه في بيان مجحف موقّع من تسع دول عربية، يرى أن من حق إسرائيل الدفاع عن النفس، بالاستناد إلى ميثاق الأمم المتحدة، الذي يمنح الدول - وليس «الميليشيات» - هذا الحق، فيما يخلو البيان من الإشارة إلى حق الفلسطينيين في حمل السلاح للذود عن أراضيهم المحتلة، كما هو القانون الدولي. ولا تقلّل من سوء البيان الدعوة إلى حماية المدنيين ووقف إطلاق النار، فهذه دعوات تتكرّر غربياً، لإكمال المشهد. وبمجرّد أن تُعطي الاحتلال الحق في شنّ عدوان، تحت عنوان الدفاع عن النفس، فإن الديباجات التالية تفقد معناها. هو بيان سيئ إذاً يجاري الموقف الغربي، وكأن الولايات المتحدة هي التي أملته.

خامساً: المساعدات الخليجية

«الحياد» السعودي، في الوقت الحالي، يطاول المستوى الإغاثي الذي يفترض أنه من أكثر ما تبْرَع فيه الرياض. وبينما أعلنت أبو ظبي والدوحة، مبكراً، وصول مساعدات إلى معبر رفح المصري، انتظرت السعودية انعقاد اجتماع لوزراء خارجية «مجلس التعاون الخليجي»، في 17 الجاري، لإعلان تقديم مساعدات خليجية بمبلغ 100 مليون دولار، على أمل أن «لا تصل إلى يد حماس». عادة ما تعلن كلّ دولة خليجية عن المساعدات التي تقدّمها للغير، وليس من تفسير للموقف السعودي غير الحياد، والحياد كلمة ديبلوماسية. فالحياد السعودي موقف سلبي، راكم اصطفافات إقليمية مضادة للمقاومين، وأضرّ بهم. وفوق ذلك، وبسبب ضغط أميركي، تدقّق دول الخليج في التبرّعات المرسلة إلى قطاع غزة، وفي استثمارات «حماس» الخارجية.

استراحة

كلمات متقاطعة 4441

	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
1			■							
2		■								
3			■					■		
4				■					■	
5						■		■		
6					■		■			
7			■						■	
8				■		■				
9		■					■			■
10										

أفقيا

1- الطويل القامة – شهر ميلادي – 2- بلدة لبنانية في قضاء زحلة – 3- أغلظ أوتار العود – مساحة شاسعة تكتنفها الأشجار الكثيفة – من الطيور – 4- دولة أميركية – مدينة مغربية – 5- للمساحة – نباتات شديدة الخضرة تنمو في الأماكن الرطبة – 6- بدلة رجاليّة – خاص بالبحر – 7- تابل يُعمل من الطحينة والثوم والحامض – سئم – 8- من الخضر – نوع أفاعي – 9- للتعريف – حلية تُلبس في اليد – 10- من عجائب الدنيا السبع

عمودياً

1- رتبة حاكم اليابان – 2- شكم الحصان – عبودية – إنتشر الخبر – 3- حسب – حقوق مشروعة – 4- طرد مفخخ – جواب – 5- ريق الفم – شاطىء البحر – خاصتها بالأجنبية – 6- مجموعة قبائل بدوية عربية استوطنوا قديماً جنوبيّ فلسطين واتخذوا البتراء عاصمة لهم – ذو رزانة – 7- تُستعمل لجمع المال – مداد – قادم – 8- تضوّع العطر – فتل الحبل – 9- عاصمة صقليّة – 10- من حكام اليهوديّة الرومان زمن السيد المسيح

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- سان سلفادور – 2- تدمر – بوردو – 3- رمس – برليوز – 4- اج – اااا - دف – 5- سابينا – 6- بدو – أرب – حت – 7- ولسول – أمس – 8- رع – جربتا – 9- ماوردي – 10- ذو القرنين

عمودياً

1- ستراسبورغ – 2- أدمج – دلع – 3- نمس – سوس – او – 4- سر – اا – وج – 5- باب الرمل – 6- فبراير – باقٍ – 7- اولان باتور – 8- دُرّي – مارن – 9- ودود – حس – دي – 10- روزفلت – تين

إعداد
نعوم مسعود

4441 sudoku

3	4	5				9		2
8		6				4		7
2		9				8	1	5
	9	7		4			8	3
		2	3		9	7		
			9					4
	6		5		4			1
5			7					8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4440

9	4	2	7	1	3	5	6	8
8	1	7	5	6	9	2	4	3
6	5	3	2	4	8	7	9	1
2	7	9	6	5	1	8	3	4
4	8	1	3	2	7	9	5	6
3	6	5	9	8	4	1	2	7
5	2	8	4	7	6	3	1	9
1	9	6	8	3	5	4	7	2
7	3	4	1	9	2	6	8	5

مشاهير 4441

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم سلوك حيواني نمساوي (1886- 1982). حائز على جائزة نوبل في الطب والفيزيولوجيا

2+4+11+3+10+5 = النبيل ■ 7+6+1 = عاصمة غرينلاند ■ 9+8+6+5 = أسراب الطيور

حل الشبكة الماضية: يواكيم مبارك

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق أحمد عجمي
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الإثنين، 23 تشرين الأول 2023.

رئيس مجلس النواب
اعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد الاسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق بهاء الدين عيتاني
المنتقل الى رحمته تعالى الأحد 29 تشرين الاول 2023.

الأخبار
إشتراكات
توزيع
إعلانات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

طوفان الأقصى

الحرب والسياسة والقتال على الزمن

عبد الجواد عمر *

لم تكن العلاقة بين الحرب والسياسة دائماً واضحة، بل غالباً ما يعتريها الكثير من الغموض والإبهام. تصبح هذه العلاقة أشدّ تعقيداً عند تداخل مصالح الأطراف السياسية المختلفة وحساباتها، ما يجعل المشهد السياسي، الذي يرتبط بالحرب، مليئاً بالتداخلات والتعقيدات، كما هي الحال في معركة «طوفان الأقصى». لذلك، رأى أبرز المنظّرين للحرب ضرورة تحديد علاقة صريحة بين «الحل العسكري» والأهداف السياسية. فقد قدّم لنا الجنرال كارل فون كلاوزفيتس نظرة حول الحرب باعتبارها استمراراً للسياسة بوسائل أخرى. وربما كان كلاوزفيتس محقّاً، ولكن في الواقع الاستعماري، يعيش المستعمَر في حالة تشبه الحرب الدائمة، حيث تكون السياسة امتداداً للحرب، وليس العكس.

وهنا تظهر إحدى إشكاليات الخاضعين لاستعمار طويل كفلسطين، حيث تكون انتصاراته في البداية مبنيّة على قدرة المقاومة نفسها على الاستمرار، أي على بناء سبل المقاومة وتعظيم قدراتها ومنحها إمكانات جادة تهدف بالأساس إلى فتح أفق الإمكانات السياسية. بمعنى أن الصراع في بدايته يهدف إلى خلق مساحة أوسع من الإمكانات السياسية. فبدون قابلية المقاومة، لا يوجد أفق سياسي أوسع.

وهنا بالتحديد يمكن فهم موقف السلطة الفلسطينية، ومعها العديد من الدول العربية التي تسعى لحصر الإمكانات السياسية وفضائها، ما يؤدي إلى ترسيخ الهزيمة كحل دائم، والتأكيد الذاتي على أن التجربة التاريخية للحركة الوطنية لم تكن ناجحة، وبالتالي تجارب الآخرين في حركات المقاومة ستنتهي بها كما انتهت هي. ترى هذه السلطة أن انتصار دولة الاحتلال على المقاومة في غزة قد اقترب، وأن ما حدث في «طوفان الأقصى» يشبه تجربة منظمة التحرير في لبنان عام 1982، حيث اضطرت الحركة الوطنية إلى الخروج في نهاية المعركة من بيروت إلى تونس. بل تشارك معظم الدول العربية هذه القراءة، فهي ترى أنّ ما حدث في السابع من أكتوبر أدّى إلى تكوين إرادة إسرائيلية لكسر المقاومة في غزة وتغيير الواقع السياسي فيها.

وهذا أيضاً ما يحرّك المخيّلة الإسرائيلية، بمعنى الجمع بين الدخول البري، والحصار، وخنق المقاومة بهدف الوصول في نهاية المطاف إلى عملية سياسية، تفضي أمّا إلى نهاية المقاومة أو خروجها من قطاع غزة المحاصر إلى بلد بعيد عن الحدود معها، أو غيرها في محاولة لإيجاد معلومات حول مواقع بعض الأسرى لدى المقاومة، أو ضرب قواعد تحت أرضية لها، أو تحقيق بعض الاغتيالات في البنية العسكرية للمقاومة، بعيداً عن دور تلك العمليات في تعزيز استعادة الجندي الإسرائيلي في لحظة الدخول على قطاع غزة.

> هناك سباق حقيقي على الزمن، ودولة الاحتلال معلّقة بين حاجتها الاستراتيجية لإظهار انتصار عسكري جادّ، وضغوط مجتمعية ودولية تتفاقم تحيلها لتقصير أمد عملياتها العسكرية وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي

الطبقة الحاكمة في دولة الاحتلال، وخاصة الأمنية والعسكرية، تحاول إقناع مجتمعها أولاً، وحلفائها ثانياً، بمنحها فسحة زمنية طويلة. فهي تراهن في هذه المرحلة على أن شحّ الموارد الأساسية، مثل الوقود في قطاع غزة، والذي يؤدي في القراءة الإسرائيلية دوراً مهماً في شبكة الأنفاق تحت أرضية، سيكون عاملاً مهماً في خنق المقاومة وإخراجها من حيّز الفعالية تحت الأرض. فضلاً عن أنها خلقت أزمة إنسانية شملت ضرب البنية التحتية والفضاء المدني الفلسطيني بما فيه تعديل ميزان القتل بينها وبين الفلسطينيين من خلال الحملة الجوية القاسية في قطاع غزة والقتل المنهج في الضفة الغربية.

ولكن، هناك عدة عوامل تؤدي دوراً في تقصير أمد الحملة العسكرية، تتضمّن أن أي دخول بري ينهي مرحلة الاستنزاف الأحادي، ويبدأ أيضاً في زيادة خوف المجتمع الصهيوني من سقوط أبنائه قتلى أو جرحى أو أسرى. في النهاية، الحرب هي قتال مجتمعات، بمعنى أن الحملة الجوية القاسية التي أشبعت جزءاً من الرغبة الانتقامية تؤدي دوراً اليوم أيضاً في ضعف رؤية الشخص العادي في دولة الاحتلال لضرورة موت أبنائه في قطاع غزة.

وهذا يأتي من توجّهين: الأوّل، يرى أن دولة الاحتلال يمكنها استخدام أسلحة فتاكة أكثر من دون المخاطرة بجنودها. والثاني، يرى أن الوقت آتٍ لإعادة أسرى المقاومة إلى البيت وإيجاد حلّ بعيد الحياة لدورتها الطبيعية. فضلاً عن أن دولة الاحتلال تعيش حالة من انعدام الثقة في ثالوثها الأساسي: أي المجتمع والطبقة الأمنية والطبقة السياسية. هذا عدا عن الخسائر الاقتصادية المترتّبة على دولة الاحتلال في قطاعات مختلفة، بما فيها السياحة والمطاعم والتعويضات الحكومية للمهجّرين، وتكلفة الحرب نفسها. وكنتيجة أيضاً لضرورة تفعيل قوات الاحتياط بأكثر من 360 ألف جندي وحرمان الاقتصاد الإسرائيلي من قوى عاملة تقوم بأدوار مهمة في أهم القطاعات الاقتصادية الحيوية، وخاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات. وهو مجال يعتمد بشكل خاص على السرعة في مواكبة التطورات التقنية، ومرتبط أيضاً بأهم قطاع تصديري لدولة الاحتلال. وقد أدّت الحرب حتى الآن إلى إغلاق المؤسسات التعليمية، ونزوح مستوطنات كاملة من الشمال والجنوب إلى مناطق أقرب للمركز.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن تفعيل قوات الاحتياط يتعلّق أيضاً بإمكانية دخول المقاومة في الجبهة الشمالية للحرب. بمعنى أن ضرورة الاحتياط وتفعيله تأتي لأن توسّع رقعة المعركة لا يزال حاضراً. لذلك، قد تستقر المرحلة الحالية من الحرب على نمط من أنماط الحصار الخانق والطويل الأمد، أو قد يتعيّن عليها إنهاء المعركة البرية في مرحلتها الأولى خلال الأسابيع القليلة القادمة - أي كسر قدرات المقاومة على القيادة والتحكم والتخلص من الحاجة إلى قوات الاحتياط لإتمام ما تبقى من العمليات دون الخوف من الجبهة الشمالية. من الناحية العسكرية، هناك سباق حقيقي على الزمن، ودولة الاحتلال معلّقة بين حاجتها الاستراتيجية لإظهار انتصار عسكري جاد، وضغوط مجتمعية ودولية تتفاقم تحيلها لتقصير أمد عملياتها العسكرية وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي. ليس غريباً مثلاً أن النقاش الدائر في واشنطن يدور بالأساس حول الضرر على المصالح الأميركية من تحركات دولة الاحتلال، وعلى منح دولة الاحتلال زمناً للقيام بحملتها العسكرية. فضلاً عن تعاظم الغضب العربي والإسلامي الشعبي، والتحوّلات الملموسة في الرأي العام الدولي.

وعلى الرغم من التحليلات العديدة التي تشير إلى الإنجازات المهمة التي حققتها المقاومة في قطاع غزة، مثل تعطيل اتفاقات التطبيع وإعادة مركزية قضية فلسطين إلى المنطقة العربية والإسلامية وحتى الساحة الدولية، وعلى كونها حققت تفوّقاً تكتيكياً مذهلاً في التخطيط والسرية والتحايل ومن ثم الانقضاض، وكان لهذا التفوق القدرة على كسر عنصر أساسي في عقيدة الجيش الإسرائيلي، وادخله في تجربة فكّكت مفهوم الجدار الحديدي الإسرائيلي الذي يحاول الاحتلال ترميمه حالياً. ورغم أن معالم المعركة بدأت تتوضح، فإنّ خطاب المقاومة أمام المجتمع الفلسطيني والعربي لا يزال خجولاً في تحديد الأهداف السياسية خارج إطار ملف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. ولا تزال القدرة على الربط بين نتائج المعركة عسكرياً والأهداف السياسية، سواء على مستوى غلاف غزة أو على مستوى القضية الفلسطينية ككل، مترددة أو حائرة. وتكمن أهميتها اليوم في أنها تأتي بعد كمّ هائل من الدمار والقتل المنهج، ولذلك هناك حاجة إلى خطاب يلعب في المجال السياسي ويوازن بين ما تراه المقاومة ممكناً وبين قدرتها على الحفاظ على قدرة المقاومة عبر الزمن. فالانتصار في الحرب يجب أن يتجاوز انتصار واستمرارية المقاومة نفسها، وخاصة أن حلفاء دولة الاحتلال يجهّزون مخططاتهم لمرحلة ما بعد المعركة.

* باحث فلسطيني

كيف نكسب رضى الغرب؟

بدر الإبراهيم *

كان حسام زملط، سفير السلطة الفلسطينية لدى بريطانيا، صريحاً في لقاءاته على الشاشات الغربيّة. تحدّث بوضوح عن كل ما فعله فريقه السياسي لحل القضية الفلسطينية: الالتزام بالقرارات الدولية، توقيع اتفاقات السلام والاعتراف بإسرائيل، ونبذ العنف. في المقابل، قوّضت إسرائيل كل الاتفاقات بسلوكها الاستيطاني والعدواني، وسط تجاهل وتفهم غربي لهذا السلوك. أراد السفير إحراج محاوريه الغربيين الذين كانوا مهووسين بانتزاع إدانة منه لعملية «القسّام» في السابع من أكتوبر، ولكنه في الوقت ذاته لخّص بصورة واضحة مآلات الخضوع للإرادة الغربية.

مسار مدريد وأوسلو، كما هو مسار كامب ديفيد، أعطى وعوداً بالخروج من دائرة الحرب نحو السلام والتنمية الاقتصادية والازدهار، في إطار الانخراط في المنظومة الرأسمالية الغربية. كلمات حسام زملط تخبرنا أين انتهى هذا المسار، كما يخبرنا وضع مصر الاقتصادي عن مسار كامب ديفيد. بات واضحاً أن الغرب يمكنه أن يمنحك مكاسب صغيرة إذا تحالفت معه مثل الأمن الشخصي ومراكمة الثروة والتسلط على بعض قومك، ولكنه لن يمنحك «دولة مستقلة»، ولن يسمح لك بالسير في أي مسار له علاقة بالاستقلال، ولا بالتنمية (وهي أمر يختلف عن الرفاهية الناتجة عن ريع نفطي).

من هو الغرب؟

حين نتحدّث عن الغرب، يخطر في البال أميركا وحلفاؤها الأوروبيون في حلف «الناتو». يشير مفهوم الغرب إلى هوية عملاقة عابرة للاختلافات القومية والدينية الأوروبية. تصنيع هذا المفهوم، الذي نجد له جذوراً في كتابات ماكس فيبر مثلاً عن فرادة الحضارة في الغرب، تكرّس في القرن العشرين بوصفه تعبيراً عن المركزية الأوروبية/الغربية، والتفوق الغربي الذي يُعزى لعوامل دينية وإثنية وثقافية، وتعبّر عنه قيم مثل الفردانية والعقلانية والديموقراطية والتبادل الحر. هو مفهوم متخيّل له تاريخ متخيّل يمحو التناقضات الأوروبية، ويحيل إلى جذور إغريقية/رومانية، لكن الأهم أنه يصنع نقيضه: الشرق المتخيّل، وهو النقيض الغارق في الجهل الذي يكمل تعريف الغرب لنفسه، ويؤكد فرادته وتفوقه، ويبرّر حروبه، سواء أكان هذا الشرق روسياً، أم صينياً، أم عربياً/إسلامياً.

الحديث عن «الغرب» هكذا بإطلاق، قد يبدو تسليماً بهذه الثنائية، ولأن الغرب ليس كتلة صماء، فالأفضل أن نكون محددين، لذلك يمكننا الحديث هنا عن «الغرب الاستعماري»، أي عن النخب الاستعمارية المهيمنة من سياسيين وأصحاب رؤوس أموال في الدول الغربية، ومؤسساتها وشركاتها وإعلامها. الغرب الاستعماري يتبنى ثنائية غرب/شرق، وأحد الأساسات الأيديولوجية لنهج الهيمنة ونهب ثروات الشعوب هو تقسيم البشر عنده إلى متحضرين وهمجيين. الغرب الاستعماري يزدريك فينهبك، وينهبك فيزدريك.

السعار الغربي بعد عملية 7 أكتوبر يشير إلى العنصرية المتجذرة في العقل الاستعماري الغربي، فليس من المقبول أن يتجرأ «أدنى البشر» على فعل التحدّي هذا، وعليه، لا بد من عقوبة رادعة تستعاد بها التراتبية في السلم البشري. الإبادة فعل مبرّر لإقامة الحضارة وديمومتها، والسكان الأصليون لا يستحقون الحياة ابتداءً، وإن عاشوا فعليهم أن يكونوا خاضعين. إسرائيل هنا تمثّل ذروة عنصرية الاستعمار الغربي، وطريقة تفكيره حيال «الآخر».

لا ينشر الغرب الاستعماري الديموقراطية ولا قيم الحداثة كما يتوهّم بعض الليبراليين العرب. الغرب الاستعماري - نظراً إلى عنصريته - لا يرى الشعوب الخاضعة لهيمنته مؤهلة لتبني قيمه، وتزخر كتابات منظّريه بالحديث عن عدم ملاءمة قيم الحداثة والديموقراطية لأديان وثقافات بعينها. كذلك، يتحالف الغرب الاستعماري مع حركات دينية «متطرفة»، ولا يجد غضاضة في التحالف مع أنظمة غير ديموقراطية وقائمة على أسس دينية أو عشائرية، بل إن الغرب الاستعماري حين يخوض حروبه تحت شعار «نشر الديموقراطية»، يقوم بتحطيم مؤسسات الدولة الحديثة التي يمكن أن تحتضن أي عملية ديموقراطية، وهكذا تصبح الديموقراطية الوليدة، كما في العراق وليبيا بعد حروب الغرب الاستعماري، كوميديا سوداء، واحترابا أهلياً يسخن ويفتر بين الطوائف والعشائر.

الغرب الاستعماري معنيٌّ على نحو أساسي بتعزيز هيمنته السياسية والاقتصادية، بالحصول على المواد الخام اللازمة له، وفتح أسواق لمنتجاته، وتعزيز النزعات الاستهلاكية في المجتمعات الخاضعة. قد تأتي النزعات الاستهلاكية بتغييرات ثقافية في السلوك وأنماط الحياة، وهذا محيّد غربياً، لكن الغرب الاستعماري لن يساعد في تطوير أي دولة خارج «الغرب» إلا بالقدر الذي يعزّز مصالحه وتفوّقه، بما يعني ألا تكون هذه الدولة نداً ولا نظيراً ولا شريكاً في مستوى الغرب المتفرّد نفسه، وهذا ما شهدناه في الوطن العربي في إطار جذوراً في كتابات «الشراكة» مع الغرب طوال العقود الماضية. إذ لم ينجح هذا المسار في إنتاج تنمية مستدامة أو معالجة الهشاشة الاقتصادية القائمة على ريوع النفط والمواد الخام وريوع السياحة والعقار والتحويلات الخارجية.

لحظة فقدان السيطرة

تُفاخر الديموقراطيات الليبرالية الغربيّة عادةً بمساحة حرّية التعبير فيها. هذه المساحة تتّسع بالقدر الذي لا تؤثّر فيه في موازين القوى داخل الأنظمة الغربيّة، ولا تغيّر من هيمنة النخبة السياسية والمالية على مقاليد الأمور، فيما تتقلّص هذه المساحة في لحظات شعور النخبة الاستعمارية بالقلق على سيطرتها داخلياً أو خارجياً، ومن هنا نجد التعامل الشرس مع التظاهرات المناهضة للعدوان الإسرائيلي على غزة، وتأييد المقاومة، عبر التهديد بالسجن والترحيل.

قبل عشرين عاماً، كانت التظاهرات تملأ شوارع المدن الغربية رفضاً للحرب الأميركية/البريطانية على العراق، وكانت مساحة التعبير عن هذا الرفض واسعة، لأن الغرب الاستعماري وقتها كان منتشياً بفائض القوة عنده، لكنه في لحظة الحرب في أوكرانيا، كما في لحظة السابع من أكتوبر في غزة، يجد نفسه وقد بدا أضعف أمام أعدائه والمتربصين به، ومتوجساً من فقدان هيمنته على العالم، ما يفسّر شراسته ضد كل ما هو روسي، ثم ضد كل ما هو داعم لفلسطين. حتى وإن أدّى ذلك لانكشاف تناقضه مع شعاراته الليبرالية.

المواجهة مع الغرب الاستعماري لا تعني عدم مخاطبة مهمَّشي الغرب، والرأي العام الغربي إجمالاً، بفي خصوص قضايانا، بل إن هذا قد يكون مفيداً. المشكلة حين ينحو الخطاب منحى الالتزام بمعايير الغرب الاستعماري، ومحاولة إرضائه، وتفصيل نضالاتنا على مقاساته، كما في التوجس والابتعاد عن نقاش موضوع المقاومة المسلحة للاحتلال، فليست المسألة فقط توضيح معاناة الشعب الفلسطيني من الإجرام الإسرائيلي، وإنما فهم السياق التاريخي للقضية، وتالياً فهم «حق الدفاع عن النفس» العربي، في مواجهة الحديث الغربي الممجوج عن حق الدفاع عن النفس الصهيوني.

التناقض الرئيسي

الفزع الغربي من وضع إسرائيل، ودعمها في الانتقام لما حدث في السابع من أكتوبر بصورة إبادية يشرح أموراً كثيرة، من أهمّها اعتبار إسرائيل جزءاً من الغرب الاستعماري، ما يمسّها يمسّه. العودة إلى فهم إسرائيل كقاعدة للاستعمار الغربي في الوطن العربي، وإلى اعتبار فلسطين قضية مركزية للعرب، يعيد تصويب البوصلة، ويؤكد صوابية الخطاب المعادي للاستعمار عربياً، باعتبار أن قضية فلسطين هي -رمزياً ومادياً- قضية التحرّر العربي من التجزئة وما تجرّه من إعاقة للتنمية والديموقراطية في الوطن العربي.

حصاد محاولات كسب رضى الغرب الاستعماري هو ما نراه من تراجع عربي على كل المستويات. خيار مواجهة الغرب الاستعماري (بأشكال المواجهة المختلفة السياسية والاقتصادية وغيرها في إطار سعي للنهوض) ليس ترفاً، بل ضرورة لإزالة عوائق النهوض العربي، وبهذا المعنى ليست قضية فلسطين قضيةً نتعاطف معها كعرب، بل هي قضيتنا التي ندافع عنها لنتحرّر وننهض ونمتلك ثرواتنا وننمي أوطاننا من دون أن يتسلّط علينا من يرانا «حيوانات بشرية».

بعد الاستغراق في صراعات بينيّة وحروب أهلية (بمساهمة أساسية من الغرب الاستعماري)، وخلق أعداء وهميين (خدمةً لمصالح غربيّة استعمارية)، تبدو الفرصة ملائمة لاستعادة «التناقض الرئيسي» في الوطن العربي مع الغرب الاستعماري، وإدارة التناقضات الثانوية بطريقة ملائمة.

الحضارة ضد الهمجية

كرّر نتنياهو وآخرون في الغرب الاستعماري الحديث عن معركة الحضارة ضد الهمجية. المعركة تقوم كما هو واضح على ممارسة المتحضّرين لأكبر قدر ممكن من الهمجية في سبيل معالجة وضع الهمجيين، وتحويلهم إلى متحضرين. يتحول الهمجي إلى متحضر حين يكف عن مجرد التفكير في التمرد على الحالة الاستعمارية، ويقبل بالأكل والشرب والاستهلاك على النمط الغربي، محتفياً بذلك باعتباره تجسيداً لـ«ثقافة الحياة»، من دون أن يخجل من سلب كرامته وإرادته واستقلال قراره، أو يمتعض من وضعه في مرتبة متدنية ضمن تصنيف الغرب الاستعماري للبشر.

يريد الغرب الاستعماري «الآخرين» إمّا أتباعاً، أو أشلاءً. بأحد الأمرين يمكن تحصيل رضى الغرب الاستعماري.

* كاتب عربي

أسئلة شارون وسيناريو ميشكا

زاهر أبو حمدة *

بعدما عاد مزهواً بإنجازاته العسكرية في سيناء ولبنان، كما يقول، لبّى دعوة من أحد الديبوتسات الدينية التوراتية أو «أصحاب العقيدة المستقيمة» كما يسمّيهم في مذكراته. يذكر أرييل شارون، تلك الحادثة من باب استحضار الدين من التاريخ واستشراف المستقبل. فيقول: «استهللت كلمتي بالإشارة إلى رؤاد بتاح تيكفا، بُناة أول قرية صهيونية. وتساءلت عن هم هؤلاء الرؤاد؟ كانوا يهوداً مستقيمي العقيدة من أورشليم، يعتمرون «الشتريمل»، وهي قبعة سوداء ذات أهداف من فرو، تعود إلى القرون الوسطى. بعد بناء بتاح تيكفا، أسّس اليهود الأرثوذكسيون في ثمانينيات القرن الماضي [التاسع عشر] هبة صهيون أثناء الهجرة الأولى، وكان مهاجرو الموجة الثانية، الذين وصلوا إلى البلاد قبل الحرب العالمية الأولى يستوحون أنماطهم الاجتماعية من الحركات الاجتماعية المختمرة في أوروبا، وخصوصاً من أنماطهم من الثورة الروسية في عام 1905. ولكن خلف المظاهر السلوكية يطالعنا «بيشيفا بوشير» (طلاب المدارس التلمودية) الذين تلقّوا علومهم في المدارس الدينية اليهودية التي أُنشئت في أوروبا الشرقية. بعد الحرب العالمية الأولى، تمت الهجرة الثالثة التي ضمت آباءنا. وهم كانوا جيلاً من المتمردين الحقيقيين. ولكن رغم غيرتهم الثورية، كانوا يدركون في قرارة أنفسهم ما معنى أن يكون المرء يهودياً. كانوا يعرفون حضارتهم ويتكلمون العبرية. ولو كنت قادراً على إتقان العبرية كما كان يتقنها والدي لكنت فخوراً بنفسي. ألف آباؤنا جيلاً من المتمردين ولكنهم ضربوا جذورهم في عمق اليهودية.

بدأت المشكلة مع جيلنا، ولأننا كنا أبناء من أنماطهم من الثورة الروسية في عام 1905. ولكن خلف المظاهر السلوكية يطالعنا «بيشيفا بوشير» (طلاب المدارس التلمودية) الذين تلقّوا علومهم في المدارس الدينية اليهودية التي أُنشئت في أوروبا الشرقية. بعد الحرب العالمية الأولى، تمت الهجرة الثالثة التي ضمت آباءنا. وهم كانوا جيلاً من المتمردين الحقيقيين. ولكن رغم غيرتهم الثورية، كانوا يدركون في قرارة أنفسهم ما معنى أن يكون المرء يهودياً. كانوا يعرفون حضارتهم ويتكلمون العبرية. ولو كنت قادراً على إتقان العبرية كما كان يتقنها والدي لكنت فخوراً بنفسي. ألف آباؤنا جيلاً من المتمردين ولكنهم ضربوا جذورهم في عمق اليهودية.

بدأت المشكلة مع جيلنا، ولأننا كنا أبناء تربيتنا، فتجم عن ذلك أن فقد جيلنا جذوره، مشكّلاً بذلك أول جيل يعيش من دون أصول. وأسائل نفسي: «ماذا كنا نعرف عن الفكر اليهودي؟ ما الذي نعرفه عن إسهام اليهود في العالم أم عن وجود اليهود هنا في إسرائيل؟ ما نعرفه قليل قليل. هل علمونا الافتخار لكوننا يهوداً، سلبلي أولئك اليهود الذين ناضلوا على امتداد الأجيال من أجل معتقداتهم حتى الرمق الأخير؟ لا، لم يعلمونا هذا. وإنما حاولوا أن يكونوا من أبناء جيلنا إسرائيليين جدداً لا يهوداً. وتميزنا في هذه السيرورة عن الأجيال السابقة الذين نقشوا اليهودية في قلوبهم. (...) هذا ما تحدثت عنه في الكيبوتز المتديّن. وقلت لهم: بدأت مشكلات جيلي عندما فقد جذوره. ثم جاء من بعده جيل آخر يمثله أولادنا، وجيل ثالث هو جيل أحفادنا. وفجأة راحت الشكوك التي ولدت معنا تكبر شيئاً فشيئاً. وبدأت التساؤلات: تُرى هل هذه البلاد لنا؟ هل نحن واثقون تماماً من أننا لم نستول على أرض تخص غيرنا؟ أو هل نحن نسرق ما لا حق لنا فيه مطالبين به؟ وكلما ترسخ الشك توارى العزم والتصميم» («مذكرات أرييل شارون»، ترجمة أنطوان عبيد - مكتبة بيسان، بيروت، 1992- ص707، 708، 709).

■■■

عام 2017، أي بعد ثلاثة أعوام من وفاة شارون، نشر ميشكا بن دافيد رواية «القرش». وتروي في إطار التشويق والتوقعات مع شيء من الواقع قصة غواصة نووية إسرائيلية (القرش) في البحر المتوسط بقيادة الجنرال يارون غال، المضطر لأخذ قرار إستراتيجي لحماية إسرائيل بعد اضطرابات وتظاهرات وحرب على عدد من الجبهات وانقطاع الاتصال مع القيادة العسكرية. تتعمق الرواية بنبوّات مستندة إلى حقائق، ومع أنها خضعت للرقابة الإسرائيلية، إلّا أنها فعلاً تمسّ الأمن القومي الإسرائيلي من ناحية الاستشراف المستقبلي وإسناده لوقائع تحدث في الوقت الحالي. تبدأ الرواية في الأول من أيار/ مايو 2022، باقتحام وحدة النخبة الفلسطينية «الكومندوز المدجج» المستوطنات في محيط غزة، عبر الأنفاق. ويصلون عبر نفق طويل إلى الثقب ويحررون مستوطنة «كفار عزا». تستند خطة المحررين الفلسطينيين إلى خلايا (كل خلية من ثلاثة أفراد) ويتمكنون من السيطرة على الجغرافيا الفلسطينية في الجنوب. وفي الوقت نفسه، يعبر الحدود من غزة الاف المتظاهرين عبر حاجز بيت حانون ويحررون مدينة عسقلان، ويقتلعون الحواجز حتى أن الجنود الإسرائيليين لا يستطيعون إيقاف الموجات البشرية. يصور من يحمل الدكتوراه في الأدب العبري وعمل في «الموساد» لأعوام، وحمل قارورة الترياق لخالد مشعل عام 1997، في أحد مشاهد الرواية أن جندياً إسرائيلياً يفرغ مخازن بندقيته وجعبته بالمتظاهرين حتى يصلون إليه ويقتلوه دعساً بالأقدام مع زملائه. وفي مشهد آخر، تتكشف صرخات النجدة إلى «الشاباك»، وجهاز الأمن نفسه لا يسيطر على الجماهير الفلسطينية المتدفقة من غزة والضفة إضافة إلى تظاهرات كبرى في الناصرة وحيفا. ويصبح اصطياد المتظاهرين لعناصر «الشاباك» سهلاً وسط إرباك في القيادة الإسرائيلية.

هذا كله يحدث وسط تقدّم كبير لقوات النخبة في حزب الله من الجبهة الشمالية، مع إطار الخريطة الفلسطينية بالصواريخ من ثلاث جبهات (لبنان، سوريا، وغزة). إنه سيناريو مرعب حدث جزء منه في 7 أكتوبر الماضي، ووسط إقليم لا يعرف مصيره تبدو التوقعات التالية مخيفة أكثر للإسرائيليين، ولا سيما أن بن دبفيد، يشير إلى انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة وعدم تدخلها بتاتاً في هذه الحرب المفترضة، في مقابل دخول روسيا بحرب شاملة ضد إسرائيل بعد قصف الطائرات الإسرائيلية مراكز روسية في سوريا.

■■■

معروف أن الخوف ينتج عن فعل حدث، أمّا القلق، فيحدث نتيجة فعل مرتقب. وأمام خوف شارون وقلقه يتحدّث من دون موارية، عن أصل الصراع وكيف يمكن أن ينتهي. هو يعرف الإجابات عن أسئلته لأن الشك راوده، ولكنه اعتبر كما أسلافه ومن خلفوه أن القوة والمزيد منها ينزع هذه الشكوك ويثبت أكبر عملية احتيال وسرقة حدثت في التاريخ سمّوها «دولة إسرائيل». وتكمن خطورة رواية بن دبفيد، في أنها تحمل في طياتها رسائل داخلية ومحاولة الإجابة عن سؤال يزعج شارون في قبره وكذلك قادة الاحتلال ومفكريه: هل ستبقى إسرائيل؟ الإجابة واضحة جداً: لن تبقى. وهذا ما أثبته السابع من أكتوبر.

* صحافي فلسطيني

طوفان الأقصى

ستارلينك فوق غزة... هل ينتصر العالم الافتراضي لفلسطين؟

شباب وُلدوا على وجود الإنترنت والحواسيب اللوحية ونظارات الواقع الافتراضي والمعزّز. أدواتهم مختلفة عن آبائهم، وهم مدمجون فعلياً في الويب. قبل أيام، خرجت مسيرة كبيرة على منصة «روبلوكس»، حمل فيها المستخدمون أعلام فلسطين وساروا وهتفوا نصرةً لغزة. وعندما قطع كيان الاحتلال الإسرائيلي الماء والغذاء والكهرباء والاتصالات عن غزة، لم يتحمل الجيل «زي» فكرة حجب الإنترنت، فما كان منه إلّا أن ثار رقمياً، متصدّراً قائمة الهاشتاغات الأكثر تداولاً، مطالباً بإنترنت عبر الأقمار الاصطناعية إلى القطاع

علي عواد

أعلن الملياردير الجنوب أفريقي، إيلون ماسك، مؤسّس ومدير عدد من الشركات من بينها «تسلا» و«سبايس إكس» و«نورالينك» و«إكس كوب»، أوّل من أمس السبت، أنّه سيتيح خدمة الإنترنت عبر الأقمار الاصطناعية «ستارلينك» فوق غزّة إلى «منظمات الإغاثة المعترف بها دولياً». وبعد ساعات قليلة، قال ماسك مجدداً على منصة X (تويتر سابقاً): «سندعم الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الأخرى المعترف بها دولياً». جاء ذلك بعدما تصدّر وسم #Starlinkforgaza قائمة الترند على X بملايين المتفاعلين، في ليلة قصف تُعدّ الأعنف على غزّة منذ بدء العدوان. ثم أجرى ماسك حوارات مع نشطاء ومسؤولين عن المنصة أثاروا مخاوفهم بشأن انقطاع جميع شبكات الإنترنت والاتصالات في القطاع وعواقبه، خصوصاً على عمليات الأمم المتحدة وخدمات الرعاية الصحية.

وعندها قرّر ماسك السير بما أعلن عنه.

> **عندما قدم إيلون ماسك «ستارلينك» لأوكرانيا، دفع له البنتاغون ملايين الدولارات من أجل تلك الخدمة**

«ستارلينك» كوكبة من آلاف الأقمار الاصطناعية التي وضعتها شركة «سبايس إكس» في مدار منخفض حول كوكب الأرض، تهدف إلى بث إنترنت عالي السرعة من الفضاء إلى المناطق المحرومة والنائية حول العالم، بالإضافة إلى تقديم خيار إنترنت تنافسي في المناطق الأكثر كثافةً على الصعيد السكاني.

لا يكفي وجود أقمار مشروع «ستارلينك» وتفعيلها فوق غزة كي يصل الإنترنت، فهم بحاجة إلى صحون لاقطة صغيرة وأجهزة «راوتر» تقدّمها الشركة، أي الكهرباء أيضاً. ويحضرنا هنا يوم أُدخلت هذه الصحون والمعدات الخاصة بـ«ستارلينك» إلى أوكرانيا، بعد قطع الإنترنت عنها مع دخول روسيا. والجدير ذكره هنا، أنّ أوكرانيا اعتمدت بصورة أساسية على تلك الأجهزة للقيام بعمليات نوعية ضد الجيش الروسي عبر الطائرات من دون طيار.

ولعل الأمر الأكثر غرابة، كان عندما صدرت سيرة جديدة تروي حياة إيلون ماسك، عبر المؤلف الشهير والتر إيزاكسون، في أيلول (سبتمبر) الماضي. زعم الكتاب أنّ أغنى رجل في العالم، تدخّل مباشرة ومنع هجوماً على السفن الحربية الروسية في البحر الأسود. وذكر أيضاً تورط ماسك في الحد من تغطية شبكة «ستارلينك» للجيش الأوكراني بالقرب من شبه جزيرة القرم، وأضاف: «نتيجة لذلك، عندما اقتربت الغواصات الأوكرانية من دون قبطان من الأسطول الروسي في سيفاستوبول، فقدت الاتصال واتّجرفت إلى الشاطئ من دون أن تسبّب أي ضرر». ثم تابع أنّ ماسك فعل ذلك خوفاً من ردّ نووي روسي. بعد ذلك، نفى ماسك إيقافه الأقمار، ونشر على X رداً في السابع من أيلول 2023، جاء فيه: «لم يتم تنشيط «ستارلينك» في المناطق المعنية. ولم تلغ «سبايس إكس» تنشيط أي شيء». ثم عاد المؤلف إيزاكسون ونشر توضيحاً على X في التاسع من الشهر نفسه، جاء فيه: «التوضيح مسألة «ستارلينك»: اعتقد الأوكرانيون أنّ «ستارلينك» مفعّلة على طول الطريق إلى شبه جزيرة القرم، لكنها لم تكن كذلك». ثم سحب النص القديم من الطبعة الأولى للسيرة على أساس أنّه سوء فهم من المؤلف وانتهت القصة.

بالعودة إلى غزة ليل السبت الماضي، قال وزير الاتصالات الإسرائيلي، شلومو كاري، إنّ إسرائيل «ستستخدم كل الوسائل لمنع إيلون ماسك من تزويد منظمات الإغاثة في غزة بالإنترنت»، وإنّ قادة الاحتلال اتخذوا هذا الموقف بناءً على تصريحات ماسك. بمعزل عمّا تفوّه به شلومو كاري، لنفترض أنّ معدات الاتصال بأقمار «ستارلينك» وصلت بطريقة ما إلى غزة، ماذا يعني ذلك؟ هذا النوع من الاتصالات لا تراقبه أي سلطة في المكان الذي يُستخدم فيه، أي إنّ الاتصال مباشر بين المستخدم وبين الأقمار الاصطناعية، ولا يمر عبر كيان العدو ولا عبر مصر. أيضاً، نذكر أنّه عندما حاول الجيش الروسي تخريب إشارة «ستارلينك» فوق أوكرانيا، عمل مهندسو «سبايس إكس» (مالكة الخدمة) على حمايتها من التشويش في ساعات قصيرة وبقيت مفعلة إلى الآن. بالتالي، من المحتمل أيضاً ألا تستطيع إسرائيل تخريب البث، علماً أن الخدمة ستكون لمنظمات إغاثة، لا إلى مقاتلين مثلما كانت عليه الحال في أوكرانيا.

كيان العدو يريد للمجزرة الكبرى أن تحدث في الظلام، وألا يرى العالم «جيش» إسرائيل الذي لا يميز بين طفل وبين مقاتل، وبين مبنى سكني أو مستشفى أو دشمة عسكرية. استهدافه للصحافيين في غزة أبرز دليل على ذلك، وكذلك تعمّده قطع الإنترنت. هو يعلم خير المعرفة تأثير منصات التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية الكبير في الرأي العام العالمي، والغربي تحديداً. هكذا، سيحاول بشتّى الطرق منع وصول معدات «ستارلينك»، حتى إنّه قد يتهم المقاومة باستخدامها في حال ظهرت في غزة.

في ما يخص إيلون ماسك، يتعيّن ألا تدفعنا عاطفتنا تجاه القضية الفلسطينية إلى النظر إلى قراره على أنّه تضامن مع شعبنا وقضيتنا، فالرجل واضح، يحزكه المال ولا شيء آخر. عندما قدم «ستارلينك» إلى أوكرانيا، دفع له البنتاغون ملايين الدولارات من أجل تلك الخدمة، وإذا فُعّلت لمنظمات الإغاثة في غزّة، فسيحصل على ملايين الدولارات من الجهات المانحة بطبيعة الحال، أو سيهدّد بإيقافها كما فعل أيضاً مع أوكرانيا. ومن المتوقع أن نشهد حملات ضد ماسك على الصعد كافة، في حال وصلت تلك المعدّات إلى غزة التي عادت الاتصالات إليها تدريجاً منذ أمس الأحد. حملات بدأت فعلاً عبر الصحف العبرية، التي تشنّ هجوماً عليه منذ ليل السبت الماضي، متهمةً إياه بالسماح بانتشار «خطاب الكراهية ومعاداة السامية» على منصة X، ومحذّرة من وصول الخدمة إلى غزة «التي تسيطر عليها حركة حماس» على حدّ تعبيرها.

دعاء العدل ـ (مصر)

«أبراجك» يا مصر

يستخدم المصريون السوشال ميديا، خصوصاً فايسبوك وX بصورة كبيرة لدعم غزة. تدرّج الاستخدام وتشعّب وفقاً للأحداث. بداية من التهليل لـ «طوفان الأقصى»، ثم التضامن مع أهالي غزة في القصف الأوّل، ثم التعاطف الشديد وإعلان الحداد بعد مجزرة «مستشفى المعمداني» تحديداً. تزامن ذلك مع دعوات مكثفة لمقاطعة سلع الشركات الداعمة للكيان الصهيوني. كما أنّ أهل المحروسة يهاجمون بشدّة أي شخصية عامّة لا تعلن تضامنها مع الفلسطينيين. وأبرز مثال على ذلك هو ما حدث مع نجم كرة القدم محمد صلاح. وبدا لافتاً هذه المرّة أنّ كلّ محاولات تثبيط العزائم فشلت خلافاً للعادة، في ظل الرد عليها بعنف. وهذا ما حدث حين قوبلت مقولة «حب وطنك زي ما بتحب وطن الجيران» بسخرية شديدة، ولوحظ أيضاً عدم انتقاد حركة «حماس» أو ربطها بحركة «الإخوان المسلمين»، حتى من الإعلاميين الذين كانوا يهاجمونها في عام 2011 (باستثناء إبراهيم عيسى).

مساء أوّل من أمس السبت ومع أنباء عن اجتياح برّي إسرائيلي للقطاع تزامناً مع قصف وحشي، شارك المصريون، ومنهم شخصيات بارزة، هاشتاغ #Starlinkforgaza للضغط على إيلون ماسك لتقديم الخدمة إلى غزّة. بعدها، برزت مطالبات لشبكات الاتصالات العاملة في مصر، وهي «أورانج» و«فودافون» و«اتصالات» و«وي»، لتوسيع خدماتها لتشمل القطاع المحاصر وسط انقسام حول أنّ الشبكات ليست مصرية خالصة (ما عدا «وي»). بالتالي لن تقدم على ذلك، ناهيك بالتفاصيل التقنية المرتبطة بشرائح الغزيين التي يرجّح أنّها ستحول دون ذلك. وقبل أن تعود الشبكات للعمل تدريجياً صباح أمس الأحد، صرّح مصدر في «فودافون» أنّ الشركة ستوفّر الشبكة لمسافة 10 كيلومترات داخل القطاع. وبعدها، تراجعت الشركة لتصدر بياناً مقتضباً يؤكّد أنّه بعد التنسيق بين الجانبين المصري والفلسطيني، «ستكون شركات الاتصالات على أهبة الاستعداد لإرسال أبراج المحمول لزيادة التغطية أو ما سيُتّفق عليه بين الجهات المعنية»، لينقسم بعدها الرأي العام بين مؤيد ومعارض.

عودة الإنترنت

قالت منظمة «نت بلوكس» لمراقبة الشبكات إن خدمة الإنترنت بدأت تعود تدريجياً إلى قطاع غزة أمس بعدما «انقطعت الجمعة في عمليات قصف إسرائيلية مكثفة».

وذكرت «نت بلوكس» عبر منصة إكس (تويتر سابقاً) إن «بيانات الشبكة في الوقت الحقيقيّ تُظهر أن الاتصال بالإنترنت يعود» تدريجياً في قطاع غزة. وأكد أحد المتعاونين مع وكالة «فرانس برس» في مدينة غزة أنه تمكن من الاتصال بالإنترنت وبشبكة الهاتف الخليوي وأنه استطاع الاتصال بأشخاص آخرين. كما أعلنت «بالتل»، مجموعة الاتصال الرئيسية العاملة في قطاع غزة، وشركة «جوال» التابعة لها، عبر فايسبوك، عن «العودة التدريجية لخدمات الاتصالات (الثابتة والخلوية وبالإنترنت) التي انقطعت في قطاع غزة بسبب القصف مساء الجمعة». وقد أدى انقطاع الاتصالات هذا إلى منع ملايين السكان من التواصل مع أقاربهم خارج قطاع غزة المحاصر أو داخله. وسبق لمنظمات دولية، بما فيها الهلال الأحمر الفلسطيني ووكالات أممية، أن أشارت إلى أنها فقدت الاتصال بأفراد طواقمها في غزة.

طوفان الأقصى

التتار قطعوا الاتصالات... الإعلام على رؤوس الأشهاد!

عمد بعض الصحافيين في غزة إلى اعتلاء سطوح المباني حتى يرسلوا فيديوات وأخباراً تطمئن الناس إلى أحوالهم بعد قطع إسرائيل شبكة الاتصالات والإنترنت. هؤلاء وغيرهم من العزاويين، الذين استطاعوا الاتصال بشبكات مصرية أو إنترنت فضائي، نقلوا مستجدات الحرب على القطاع بدءاً من مساء الجمعة

تهاني نصّار

منذ بدء الأسبوع الثالث لمعركة «طوفان الأقصى»، بدأ العدو الإسرائيلي الإعلان عن تحضيره لعملية عسكرية برية على غزة بعدما اعتمد بالكامل في الأيام الماضية على قصف عنيف متواصل، حتى بلغ حجم الصواريخ والمتفجرات ما يقارب الـ12 ألف طن، أي ما يعادل قنبلة اليورانيوم المخصّب التي ألقتها الولايات المتحدة الأميركية على هيروشيما في الحرب العالمية الثانية، وفقاً لكلام الخبير العسكري الأردني فايز الدويري.

العملية المضادة التي أسماها جيش الاحتلال «السيوف الحديدية»، لم تأتِ بهدف استرجاع أسراها الموجودين لدى المقاومة الفلسطينية في غزة، ولم تحقق أي هدف واضح آخر بعد الصدمة التي أحدثتها عملية «الطوفان» لدى حكومة الاحتلال، كما جاء في عنوان الصحيفة الإسرائيلية المقرّبة من رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو «إسرائيل اليوم» بعد الأسبوع الأول للمعركة: «مطلوب هدف واضح وفوري».

> ظهر المصور بلال خالد في تسجيلين مباشرين عند منتصف الليل نقل فيهما حالة القطاع

إذاً، أراد «جيش» الاحتلال تدمير غزة وإبادة أهلها، خصوصاً لدى فشله في استهداف حركة «حماس»، وفي استعادة هيبته العسكرية وسمعته الوحشية. إذ أتى ذلك جلياً في ارتكابه لمجزرة «مستشفى المعمداني»، وقصفه لـ «كنيسة القديس برفيريوس»، وعدد من المساجد، ومدارس تابعة لوكالة «الأونروا»، ومقرات القنوات التلفزيونية والإعلامية، حتى كتب الصحافي الاستقصائي الأميركي سيمور هيرش إنّ «إسرائيل تعتزم تحويل مدينة غزة إلى هيروشيما، مع الفارق أنها لن تستخدم الأسلحة النووية». وحدد جيش الاحتلال هدفه من العملية التي سيتبعها اجتياح يقضي فيه على «حماس».

وقبل أن يبدأ بالتوغل بريّاً مساء الجمعة، كثّف الغارات وأطلق الصواريخ الارتجاجية بقصد تدمير الأنفاق وإغلاق مداخلها على رؤوس من فيها (من ضمنهم المستوطنين المحتجزين لدى «كتائب القسام»)، وقطع عمداً جميع سبل الاتصال عن المدينة من خطوط الاتصالات إلى شبكات الإنترنت. أراد العدو الصهيوني عزل غزة بالكامل عن العالم حتى يستطيع اقتراف جرائمه الحربية بعيداً عن عدسات الكاميرات والتلفونات الخلوية، وليس هذا بالجديد عن العدو الصهيوني الذي ارتكب مجزرة صبرا وشاتيلا في عام 1982 بعد خروج «منظمة التحرير» من لبنان وضمانات الولايات المتحدة الأميركية بسلامة الفلسطينيين. كما وضّح المفكر والكاتب نعوم تشومسكي أنّ أميركا تتحمل المسؤولية لإعطائها الضوء الأخضر لجيش الاحتلال باجتياح لبنان. ولولا شهادة بعض الصحافيين الأجانب مثل روبرت فيسك، الذي كان حينها مراسلاً لصحيفة الـ«إندبندنت» البريطانية، والكاتب الفرنسي جان جينيه، اللذين رويا المشاهد المروعة للمجزرة، لكانت دُفنت وأُخفيت كما لو أنها لم تحدث.

كان العدو الصهيوني جاهزاً لإنكار ما حدث وفقاً لما أورد الصحافي الصهيوني شيمون شيفر في كتابه «كرة الثلج – أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان» (1985). كان ذلك في عام 1982، أما اليوم، فتتحمل أميركا أيضاً المسؤولية عما يحدث في غزة، فقد أتت بنخبة من جيشها وأسلحتها ولياتها لتدعم إبادة الغزّيين وتتأكد من التخلص من المقاومة، وتنكر الجرائم التي سترتكب بالتأكيد في غزة، فليس هناك من مبرر لقطع الاتصالات بالكامل عن الغزاويين وعزلهم التام عن العالم إلّا لإبادة الفلسطينيين سرّاً. كما جاء من تحذيرات صادرة عن منظمات دولية مثل «هيومان رايتس واتش» التي اعتبرت أن قطع الاتصالات قد يكون «غطاء لفظائع جماعية ويسهم في الإفلات من العقاب على انتهاكات لحقوق الإنسان».

في بداية الستينيات من القرن الماضي، تنبأ الفيلسوف الكندي والمنظّر في وسائل الاتصال الجماهيري مارشال ماكلوهان بالعالم بقارّته وبلدانه انكمش على بعضه وأصبح «قرية عالمية»، أي مترابطاً بفعل وسائل الاتصال الجماهيرية التي قرّبت المسافات ونقلت الصورة والخبر لسكان العالم، وأسهمت منصات التواصل الاجتماعي في تعزيز ذلك حتى لم تبقَ منطقة معزولة عن الاتصال بالإنترنت ومشاركة أخبارها اليومية. أما اليوم في عام 2023، فقد قرّر الاحتلال الإسرائيلي عزل غزة عن العالم، العالم كله قرية واحدة متصلة بالإنترنت وتنقل أخبارها وسائل الإعلام الكلاسيكية، بينما مدينة غزة خارج هذه التغطية. أعلنت منظمة الصحة العالمية أنها فقدت الاتصال بموظفيها، وصرّح الهلال الأحمر الفلسطيني عن انقطاع الاتصال «بصورة كاملة عن غرفة العمليات في قطاع غزة، وعن طواقمنا العاملة هناك كافة وسط قطع سلطات الاحتلال لشبكات الاتصالات الأرضية والخلوية والإنترنت على نحو كامل»، وبدأت قنوات التلفزة أيضاً بنشر خبر انقطاعها عن مراسليها في الداخل. استغلت هذا الانقطاع بوقاحة القناة الأميركية CNN، ففتحت المجال لاستضافة مراسلين «إسرائيليين» وأعطت الهواء للمتحدث باسم حكومة الاحتلال فاتحة المجال أمام الرواية الصهيونية لما يحدث في غزة، مطلقين على تغطيتهم مستجدات «إسرائيل في حرب».

ورغم ذلك كله، استطاع بعض الغزاويين القريبين من الحدود مع مصر الذين يحملون شريحات أرقام هواتف مصرية، أن يتلقوا إشارات شبكات مباشرة من الأراضي المصرية، فتحولوا إلى مراسلين ينقلون ما يحدث ساعة بساعة حسب ما تسعفهم في ذلك شبكة الإنترنت. كتب المدوّن أحمد الحاجز: «أنا في غزة وأهلي أيضاً ولكن لا أعلم أي شيء عنهم، لا أحد يعلم عن الآخر شيئاً في القطاع ولا أحد يعلم عنا شيئاً في الخارج. غزة شهدت ليلةً هي الأصعب في تاريخها، الاحتلال استهدفها بالصواريخ طوال الليل بحراً وجواً وبراً. خرج عليّ الصباح لأقول لكم: في اليوم الـ 22 من الحرب، غزة تُباد». وروى الصحافي محمد الزعنون تفاصيل تلك الليلة بقوله: «كل الناس تواصلوا معنا عشان يساعدونا في موضوع الإنترنت. كل الصحافيين بخير. حنحاول نوصلكم الصورة ورسالتنا مرة أو مرتين يومياً، وإذا ما تواصلنا خلال فترات كبيرة فبنكون فقدنا الاتصال عن العالم وروحنا إلى بارئنا». ونشر المصور بلال خالد عبر منصة إنستغرام منشوراً على شكل صورة كتب فيها عن انقطاع التواصل التام داخل غزة، وتخوفه من ارتكاب جيش الاحتلال لجريمة لن يعرف بأمرها العالم، ثم عاد واتبعها برسالة طمأن الناس إلى أنّ التوغل البري لم يتجاوز حدود غزة. قام خالد بدور المراسل، إذ ظهر بتسجيلين مباشرين عند منتصف الليل نقل فيهما حالة القطاع تحت القصف البري والجوي والبحري للمناطق الشمالية والمجازر التي حدثت هناك، واستهدافات أخرى في مخيم الشاطئ وحي التفاح ومحيط برج الغفري. كما غرّد محمد سميري فور قطع الاتصالات عن القطاع بأنّ غزة معزولة عن أي شبكة تواصل وأنهم يحاولون أن يلتقطوا إشارات شبكات إنترنت مصرية، والحقها بتغريدات متتالية: «العالم خذلنا»، و«قد تكون تغريدتي الأخيرة»، ثم عاد وكتب بأنه «لا يزال على قيد الحياة». وعمد الصحافيون في غزة إلى اعتلاء سطوح مبانٍ مرتفعة مخاطرين بحياتهم من أجل محاولة التقاط شبكة اتصال حتى يرسلوا فيديوات وأخباراً يطمئنون فيها الناس إلى أحوالهم في القطاع. كان هؤلاء وغيرهم من الغزاويين، الذين استطاعوا الاتصال بشبكات مصرية أو إنترنت فضائي، ينقلون مستجدات الحرب على غزة في الوقت الذي غابت فيه المحطات التلفزيونية عن نقل ما يحدث من الداخل. ونشر حساب مسمى بعنوان «ياسر غزة» مجموعة من الرسائل الصوتية عبر الواتساب تجمعه بعائلته التي انقطعت اتصالاته بها لحظة انقطاع الإنترنت. الرسائل التي تروي حالةً إنسانية مؤلمة، عادت ووصلته بعد عودة الإنترنت، فعلّق عليها بقوله: «مجموعة تسجيلات صوتية من عائلتي للقصف الصهيوني على #غزة تم تسجيلها خلال انقطاع الإنترنت ووصلت اليوم بعد عودته، هذه الأصوات ستبقى خالدة في الذاكرة البشعة للاحتلال، وستكون شاهدة في أرشيفنا بعد تحرير فلسطين». أما هند خضري، فروت بصورة مستمرة حالة انقطاع الإنترنت خطوة بخطوة، وظلّت تتابع الحالة التي تحدث كما لو أنها أقرب إلى مراسل لا يروي الحدث فقط، بل يعلّق عليه، فتنشر فيديو للقصف الذي يحدث أمامها، ثم تعود لتشارك الأخبار عن حالة الإنترنت.

تركي آل الشيخ ومحمد هنيدي في الاحتفال

حملة غاضبة انتقلت على مواقع التواصل الاجتماعي. طالبت بمقاطعة النجوم العرب الذين شاركوا في افتتاح «موسم الرياض». نجوم وفنانون التزموا الصمت منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، خوفاً من سحب إقاماتهم الذهبية في الإمارات، أو منعهم من دخول السعودية التي كانت قاب قوسين من التطبيع مع العدو الإسرائيلي. وحده كاظم الساهر تراجع عن حفلاته المقررة في الدول العربية!

«موسم الرياض» مستمرّ رغم المجزرة: ما أوسخنا... ما أوسخنا... ما أوسخنا!

زينة حداد

«ألا تخجلون؟». قالها أحد المتابعين على صفحات السوشال ميديا، تعليقاً على الفيديو الذي انتشر لافتتاح «موسم الرياض» في السعودية بدورته الرابعة التي انطلقت أخيراً، وتخللته وصلات غنائية ولوحات راقصة وألعاب ترفيهية. فقد سجّل التاريخ، أنه في الوقت الذي تُباد فيه غزة ويخوض فيه الفلسطينيون معركة البقاء والصمود، ويتعرّضون لمجزرة لم يشهد التاريخ الحديث مثيلاً لها، أقام تركي آل الشيخ، رئيس «مجلس إدارة الهيئة العامة للترفيه»، افتتاحاً ضخماً للإعلان عن «موسم الرياض». فقد أصرّ «أبو ناصر» على إبقاء موعد الحدث الفني الذي انطلقت دورته الأولى عام 2019، ضارباً بعرض الحائط كل المعايير الإنسانية والأخلاقية.

هكذا، جنّد آل الشيخ نفوذه لافتتاح «موسم الرياض»، مستعيناً بالنجوم الذين يُعرفون بالولاء له، جامعاً إياهم حول المأدب الفاخرة. حضر الحفلة التي أقيمت في الرياض، نجوم عرب من مختلف المجالات الفنية، من بينهم المصريون أحمد عز، ومحمد هنيدي، وأشرف عبد الباقي، ومحمد أنور، وعمرو يوسف، واللبنانيتان نانسي عجرم وإليسا والسورية أصالة نصري، إلى جانب باقة كبيرة من النجوم الخليجيين. وكانت قد سبقت الافتتاح مجموعة حفلات أقيمت عبر تطبيق Webook وغنت فيها إليسا وأصالة وغيرهما. أما من النجوم العالميين الذين حضروا حفلة العشاء، فنذكر الملاكم مايك تايسون، ولاعب كرة القدم البرتغالي كريستيانو رونالدو وحبيبته جورجينا رودريغز، والممثل الهندي سلمان خان وغيرهم.

أجواء الفرح والسعادة في افتتاح «موسم الرياض»، لم تمرّ بسلام على صفحات السوشال ميديا. اللافت أن غالبية التعليقات المعترضة، جاءت من قلب الشارع السعودي. فقد أعلن عدد من المغرّدين عن رفضهم لما يحدث بينما تشهد فلسطين إبادة ومجزرة جماعية. وأشارت التعليقات إلى أن التاريخ سيكتب أن الرياض رقصت على أشلاء أطفال غزة وأقامت الاحتفالات في الوقت الذي كانوا فيه يتعرّضون لعملية إبادة مروعة. وقارنت التغريدات بين من يموت وتتناثر أشلاؤه بفعل الطيران الإسرائيلي في غزة، وآخرين ماتت ضمائرهم وأخلاقهم في «موسم الرياض»!

> غالبية الانتقادات جاءت من قلب الشارع السعودي

في هذا السياق، ضجت صفحات السوشال ميديا بخبر افتتاح «موسم الرياض» التي بدأت بكلمة لـ «أبو ناصر» مرحباً بالضيوف، متناسياً المجازر التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين. لم يأت المستشار السعودي أبداً على ذكر ما يحدث في غزة، كأن لا شيء يحدث في فلسطين، بل إن الأوضاع هادئة وعلى طبيعتها! تضمن الافتتاح نزالاً تاريخياً بين الملاكم البريطاني تايسون فيوري، ولاعب الفنون القتالية الفرنسي فرانسيس نغانو، ثم انطلقت الرقصات الغنائية واللوحات الفنية الصاخبة. وافتتحت السهرة مجموعة من الفنانين الأجانب، وأقيمت ألعاب خفة وترفيهية، وتسابق الحضور على التقاط الصور مع الضيوف من مختلف الجنسيات العربية والأجنبية.

على الضفة نفسها، طالبت التعليقات بمقاطعة الفنانين العرب الذين لم يستطيعوا أن يخالفوا أوامر «أبو ناصر»، ووصفت التعليقات النجوم بأنهم منبطحون للمستشار السعودي، إذ التزموا الصمت في العالم الافتراضي منذ انطلاق «طوفان الأقصى»، تخوّفاً من سحب إقاماتهم الذهبية في الإمارات العربية المتحدة، أو منعهم من دخول المملكة التي كانت تشارف على التطبيع مع العدو الإسرائيلي. في مقابل الفنانين الذين حضروا الحفلة ورقصوا على موسيقى افتتاح «موسم الرياض»، سجّل كاظم الساهر موقفاً لافتاً بعدما أعلن أخيراً عن تجميد جميع حفلاته بسبب أحداث غزة. على صفحاته على السوشال ميديا، كشف المغني العراقي عن تأجيل سهراته التي كانت مقرّرة في مجموعة دول عربية إلى أجل غير مسمى، تضامناً مع غزة. وقال «القيصر» بكل وضوح: «لا احتفال وأهلنا تحت القصف». لم يكن الساهر الوحيد الذي انسحب من الأجواء الاحتفالية، بل سبقه الممثل المصري محمد سلام الذي أعلن اعتذاره عن عدم المشاركة في مسرحية «زواج اصطناعي» ضمن فعاليات موسم الرياض.

الأخبار
al-akhbar
الإثنين 30 تشرين الأول 2023 العدد 5048

هوامش على دفتر «الطوفان»

قال في كأس العالم عام 2018: «قلبي فلسطيني»

في ذكرى ميلاد مارادونا... وحده البارود يحرّر فلسطين

حسين فحص

عندما «سجدت» كرة القدم تحت أقدام دييغو آرماندو مارادونا (30 تشرين الأول/ أكتوبر 1960 ـ 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020)، لم يأخذه الغرور. لم يسكر بهذا المجد. ظلّ وفيّاً إلى حياته الأولى، إلى رفاق الأزقة الفقيرة ومن يشبههم في كل العالم، مؤمناً بضرورة إيصال أصواتهم لكي يرى الجميع الحقيقة... وهكذا كان.

في ذكرى ميلاده، نستعيد ذلك الفتى الذهبي، المشاغب والمناضل، الشقي الذي هشّم الكبرياء الإنكليزي عام 1986، محققاً إنجازات رياضيّة عدة في حياته، ومع ذلك، تبقى العلامة الفارقة هي شارة النصر التي رفعها في ميادين أميركا اللاتينية وفلسطين وكل العالم. رحل دييغو قبل ثلاثة أعوام، لكن نضاله سيبقى مخلّداً. كان الجميع يرى الحرية في عيني مارادونا. لا حاجة لتمثال. فتى مشاغب شقَّ طريقه من «الفافيلا» في بوينس آيرس نحو العالمية، حاصداً أضواء قاربت الشمس نفسها. داعب الكرة لكي يقتلع البؤس من وجوه أهله. أراد شراء سقف لا يصدأ، وبدلاً من ذلك، زيّن وجهه الأيقوني جدران المنازل الأرجنتينية كافة.

صحيح أنّ كل الطرق تؤدي إلى روما، لكن بالنسبة إلى مارادونا، كانت نابولي الفقيرة نقطة الانطلاق، أصبح هناك بطلاً رغم أنوف أهل الشمال مدّعي التفوّق، زيّنت صوره أحياء الطبقة العاملة في المدينة الجنوبية، حارب وحده أغنياء الشمال بكرة قدم وقميص موحّل. سمّيت المقاهي والكنائس باسمه، حتى المقابر التي سكنها عام 2020. كان حدثاً في جنوب إيطاليا، رسولاً للسعادة، مراهقاً سدّ بيسراه الهوّة الطبقية مع شمال البلاد.

عبقريته داخل الرقعة الخضراء ترافقت مع نضال بطولي خارجها، ناصرَ فلسطين في حربي 2012 و2014، واصفاً ما تفعله إسرائيل بـ«الأمر المخزي». حيّا قطاع غزة والضفة الغربية أثناء رفعه علامة النصر عام 2011 أمام جمهور نادي «الوصل» الإماراتي في إحدى المباريات، وأكد مناصرته للقضية مجدداً في كأس العالم في روسيا عام 2018، عندما التقى الوفد الفلسطيني في موسكو قائلاً: «قلبي فلسطيني».

كان رمزاً عالمياً لنُصرة الحق. رأى في فلسطين ما رآه في جزر الفوكلاند التي اغتصبها الإنكليز: أرض مسلوبة تُوجب البارود لاستردادها، ولكن بدلاً من أن يُطلق النار بيده، ادّعى أن يد الله امتدت لتثأر للأرجنتين أمام الإنكليز في كأس العالم 1986. كتب الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن مارادونا في العام نفسه: «لن يجدوا دماً في عروقه، بل وقود الصواريخ».

تميّز دييغو بكونه أمل المهمشين وعدواً للرأسمالية المتوحشة، لا يتردد في إظهار توجهاته اليسارية. كان ثائراً، يفعل ما يريد، بالطريقة التي يريدها. وشَمَ وجه زعيم الثوار الأرجنتيني تشي غيفارا على ذراعه، وحصّن قدمه السحرية بوشم آخر لأحد رموز الحرية في العالم، الرئيس الكوبي السابق فيديل كاسترو. كان دييغو صديقاً للرفيق فيديل، وفي بعض الأحيان، كان رصاصة في بندقيته. ناصر الرئيس الفنزويلي السابق هوغو تشافيز أيضاً، وعادى أميركا طوال حياته. رفضه للظلم جعله أيضاً على خلاف دائم مع الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، تحديداً في عهد الرئيس الأسبق جوزيف بلاتر.

عاش مارادونا حياته ابناً للشعب، ومات كذلك. رافق ماضيه البائس ظلاله في الملاعب وخارجها. لم تغيره الملايين. ستبقى الشوارع تذكر مهارته المجنونة، ستبقى الشمس تستذكر شعره المجعد، سيبقى العالم يحيي نضالاته... هو زارع الفرح، ولذلك كتب له محمود درويش هذه الأبيات بعد مونديال 1986 الأسطوري في المكسيك:

«ماذا نفعل بعدما عاد مارادونا إلى أهله في الأرجنتين؟
مع من سنسهر، بعدما اعتدنا أن نعلّق طمأنينة القلب، وخوفه، على قدميه المعجزتين؟
وإلى من نأنس ونتحمّس بعدما أدمنّاه شهراً تحوّلنا خلاله من مشاهدين إلى عشّاق؟
ولمن سنرفع صراخ الحماسة والمتعة ودبابيس الدم، بعدما وجدنا فيه بطلنا المنشود؟
وأجّج فينا عطش الحاجة إلى: بطل... بطل نصفق له، ندعو له بالنصر، نعلّق له تميمة، ونخاف عليه وعلى أملنا فيه من الانكسار؟».

على بالي

أسعد أبو خليك

قرّرت الحكومة السويسريّة (حكومة لطيفة وهادئة ومحايدة مثل البطريرك) قطع التمويل عن جمعيّات فلسطينيّة وإسرائيليّة بسبب ثبوت المخالفة لعقود التمويل من ناحية حظر إزعاج إسرائيل أو إدانتها. الأمر لن يسري بالضرورة في لبنان، لأنّ الجمعيّات عندنا مطيعة ولم نرَ حيداً عن عقود التمويل. الجمعيّات وأصحابها التزموا الصمت المطبق عن فلسطين، فيما حاول بعضهم التعبير عن تعاطف غربي، بلغة غربيّة، عن فلسطين، بكلام نسمعه على ألسنة الناطق باسم وزارة الخارجيّة: عن وقف المستوطنات وعن ضرورة دفع عمليّة السلام (زار وفد تغييري من مارك ضو ووضاح صادق وغيرهما السفير السعودي عشيّة القصف على غزة من أجل تنشيط مسيرة السلام وفرض «حل الدولتيْن»). لكن لدينا كثير لنتعلّمه من دول أوروبا: حريّة التعبير مثلاً، رغم حظر تظاهرات من أجل فلسطين، وهناك ضريبة تُفرض اليوم في فرنسا على المتظاهر بقيمة 350 يورو، ومدينة برلين الحرّة (التي حوّلتها الدعاية السياسية الأميركيّة في الحرب الباردة إلى رمز الحريّة) حظرت في المدارس العلَم الفلسطيني وحتى الكوفيّة. وهناك بلديّات غربيّة تنظر في إمكانية حظر شعار «من البحر إلى النهر» لأنّه «لا سامي» ويتضمن تهديداً لأمن إسرائيل. أما أغنية «أصبح عندي الآن بندقيّة» لأم كلثوم، فهناك لجنة خاصّة تنظر في أمرها في البرلمان الأوروبي للحكم فيما إذا كانت معادية للسامية أم لا... هذه الحريّات، وحدود الحريّات، أمر يمكن أن نتعلّمه هنا. وهناك من يمتثل في لبنان لديموقراطيّة إسرائيل (جان عزيز وغيره): إسرائيل فرضت قانون حظر «التحريض ضد الدولة» في حالة الحرب، كما أنّ الكنيست الديموقراطي ينظر في قانون يمنع استهلاك وسائل إعلام عدوّة إذا ما واظب المرء على متابعتها. وهناك 120 عربياً في السجن في دولة العدو لمخالفتهم قوانين حظر حريّات التعبير للعرب في ما يهدّد أمن الدولة الشديدة الحساسيّة. ونستطيع أن نتعلّم من دول الغرب حب السلام، فقط كخيار للعرب، مع الأخذ في الحسبان حاجة إسرائيل الحضارية إلى الارتكاب المنتظم والدوري لجرائم الحرب منعاً للكراهية.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com